مسارات الرعب 4

HORROR TRACKS

أنين منتصف الليل

فريق متميزون

E-BOOK

وسام سعيد

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

مسارات الرعب (٤)

أنين منتصف الليل

رواية..

وسام سعيد

مسارات الرعب..

لقد ولى زمن الطمأنينة.. وأن تغط مسترسلاً في نوم عميق.. الآن لا وقت.. فقد اندفع هدير صرخات الضحايا.. من البوابة (ن).. فلا راد لشره.. رياحُها الساخنة تقترب.. هل شممتها؟ إنها الآن خلفك.

لقد وقع في مرمى حممها الغاضبة ٤ أشخاص اختارهم القدر.. ليجدوا أنفسهم متورطين في قصصها التي لا تنتهي.. إنه فريق (مسارات نون السوداء)، الذي تكون تلقائياً، وليس اختيارياً.. وهم كالتالي:

١ - الدكتور مريد

طبيب نفسي في أواخر الأربعينيات.. يمتلك واحدة من أكبر مستشفيات العلاج النفسي والإدمان في مصر.. يسعى دائما لاكتشاف كل جديد في مجاله.

٢ - حمزة التاجي

شاب ثلاثيني.. لا يجد روحه إلا بين دفتى كتاب أو أمام «اللابتوب» الخاص به، لا يتوقف عن الإبحار في عالم (الباراسيكولوجي) وعلم النفس الموازي وعلم الخوارق، وقصص الأشباح، وتناسخ الأرواح، والقوى غير المرئية.

٣ - نزار غنيم

كاتب صحفي في مطلع الأربعينيات.. يتمتع بقدرات خاصة في الرياضة الروحية، وتمارين التحكم النفسي والذهني، نتيجة لتصوفه وحبه لآل البيت، ورغبته العميقة في الحياة.. يعشق المرح في أعتى لحظات احتباس الأنفاس.

٤ - فدوى عبد الدايم

صحفية حوادث تبلغ من العمر ٢٦ عاماً.. تمتلك ذكاءً حاداً وشجاعة تليق بطبيعة عملها.. ولكن جمالها وبراءتها الملفتان لم يشفعا لها فيما ستقبل عليه من أهوال جراء دخولها عالم (ن).

لقد غادرنا نحن سكان الأرض منذ أيام عهد السكينة.. وعبرنا دون أن نشعر أولى بوابات الظلام.. والأخطر سيتوالى تباعاً.. من الآن حاول الفرار.. والزم توازنك مهما شاهدت.. مهما انقلبت أمامك الإحداثيات واختلت القوانين.. الزم ثوابتاً عشت عليها وتفهمتها.. لعلك تخرج من قائمة ضحايا تلك المسارات المظلمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١)

امتلأ الشارع الشعبي الضيق بالسيارات المصطفة بشكل عشوائي خلف صوان العزاء المقام بجوار المسجد، وخرج كل صاحب سيارة منها تاركًا مهمة الركن لسايس المنطقة الذي يرتدى حلة برتقالية ممسكًا بصفارته محاولًا التنسيق بين هذا العدد الكبير من السيارات والذي لم يكن في الحسبان.

كان صوان العزاء صغيرًا متواضعًا حيث لم يكن أهل الفقيد من ميسوري الحال، ورغم ذلك اكتظ المكان بالمعزين صغارًا وكبارًا، أما عزاء السيدات فكان في البيت، في الطابق الخامس حيث كان يسكن الطفل (إيهاب طارق الهواري) ذو الأحد عشر ربيعًا، والذي نام بعد عودته من المدرسة وقت الظهيرة ولم يقم.

كان عزاء السيدات لا يقل ازدحامًا عن عزاء الرجال فعم (علي عبده) جد (إيهاب) رجل لا يملك من يعرفه إلا أن يحبه سواء من جيرانه في الحارة أو السكن أو من زملائه ورؤسائه في المصلحة الحكومية التي كان يعمل بها.

لقد حرص الجميع أن يقدموا واجب العزاء لهذا الرجل الذي قارب على إتمام العقد السادس من عمره وفقد حفيده الوحيد فجأة وبدون مقدمات، فهو بالرغم من عمله كساعٍ ومشرف على الكافيتيريا وطلبات الموظفين من شاي وقهوة وخلافه إلا أنه رجلٌ يحترمه ويقدره كل من يتعامل معه نظرا لحسن خلقه وتدينه وبشاشته ومرحه الدائم.

لم يقِلّ حزن الحاجة (سماح) زوجته عنه إن لم يزد، على حفيدها الصغير، لذلك كانت السيدات المعزيات تحرصن على مواساتها أكثر من أم الطفل نفسه، السيدة (رحمة) تلك الشابة الجميلة ذات الشهادة المتوسطة والتي كانت مضرب المثل بين سكان الحارة في جمالها وحسن خلقها في آن واحد مما جعلها مطمعًا لمعظم شباب الحارة، قبل أن يظفر بها (طارق الهواري) المحامي الفاشل بالنقض، في زواج لم يستمر أكثر من ٥ سنوات حتى خلعته بعد سوء سلوكه وخلقه وإساءة معاملتها واعتياد الاعتداء عليها وعلى ابنيهما بالضرب المبرح، فضلًا عن إدمانه لشرب الخمر وتعاطي الحشيش في سهرات ثابتة مع أصدقائه يحرص عليها.

وبعد سنوات من العذاب عاشتها (رحمة) في بيت الزوجية، حلمت بحياة جديدة خالية من الخوف والإهانة، لكي تتمكن من تربية طفلها كما تربت هي في بيت أهلها، ولكن القدر واصل اختبارها في أعز ما تملكه في الحياة، وكان عليها أن تستقبل الحياة الجديدة التي طالما حلمت بها بكارثة أبشع وأكثر ألمًا بكثير من حياتها السابقة.

لم تكن (رحمة) أحد الجالسين في شقة الحاج (على عبده) وقت العزاء لأنها كانت طريحة الفراش في المستشفى فاقدة للوعي غير مصدقة لما حدث، أو رافضة لفكرة غياب ولدها عنها وقد كان بالنسبة لها كبارقة الأمل الوحيدة في حياتها المريرة التي تجرعتها من أجله.

- ياااارب..يا رب اعف عنا وارحمنا.... يا رب أجيب صبر منين... استحمل بيه إني مش حاشوف (إيهاب) تاني..ولا استحمل اللى مستخبي لبنتي وهي مرمية في المستشفى مش عارفة أعملها حاجة!!!!

قالتها الحاجة (سماح) والبكاء الهستيري والنحيب يتخلل كلماتها، قبل أن يحتضنها ويحتويها إخوتها وجيرانها ومن بجانبها في العزاء، حتى أن (سمر) صديقة (رحمة) وأختها في الرضاعة، أسرعت قبل الجميع نحوها بكوب ماء ومحاولة تهدئتها بالطبطبة عليها تارة وبقراءة القرآن على رأسها تارة أخرى.

لم تجد (سمر) بدًا من إدخال الحاجة (سماح) لغرفتها وهي تسندها، حيال مطالبات الجالسين بضرورة أن تخلد للنوم قليلًا أو تفترش سريرها بعض الوقت قابضة على المصحف بيدها لا تتركه.

كانت (سمر) تقوم على خدمة جميع الجالسين والإشراف على طهي الطعام لمن جاء مسافرًا من قرية عم (على) التابعة لمحافظة بني سويف، واستقبال جميع المعزين وإعداد الشاي والقهوة لهم، وتحمل مسئولية اليوم كاملة وفاء وبرًا بمن تعتبرهم أهلها وذويها، حيث كانت تعيش بمفردها مع عمتها بعد وفاة أمها وأبيها منذ كانت صغيرة ولكنها أصبحت تعيش بمفردها في البيت المجاور لهم.

كما أنها لا ترى (رحمة) إلا أختها، حتى أنها كانت أول من نقلها للمستشفى بعد تلقيها خبر وفاة (إيهاب) على سريره، حيث سقطت مغشيًا عليها بعد فاصل من الهذيان والتخريف والصراخ. وظلت معها تتابع حالتها مع الطبيب برفقة شاب يحبها في الحارة وينوي خطبتها، فلم يمنع نفسه من الاستجابة لاستغاثتها وندائها له من ورشته أسفل البيت:

- حامد..واد يا حامد.... اطلع بسرعة يا وله...

انطلق (حامد) بسرعة كالفهد واثبًا على درجات السلم، وبشهامة ابن البلد حمل (رحمة) واستقل سيارة أحد الزبائن وانطلق نحو أقرب مستشفى.

أما صوان الرجال فكان جميع الحاضرين والمستمعين إلى قرآن العزاء، لا يرفعون ناظرهم عن (طارق الهواري) ويطلقون نحوه نفس نظرة الاستحقار والامتهان والكراهية، فمعظم الحاضرين هم من أهل المنطقة الذين يعرفون سوء خلقه ويعرفون كيف تم خلعه من (رحمة) ابنة الحاج (علي عبده)، الذي تحامل على نفسه وصمد بجسارة وقوة إيمان وقلب ثابت، طوال العزاء وسلم على زوج ابنته بامتعاض ولكنه لم يطرده كما أشار عليه همسًا في أذنه بعض شباب المنطقة، رادًا عليهم بأنه مهما حدث فهو أبو المرحوم (إيهاب) ويكفيه ما أصابه من مصيبة.

رغم أن حضور (طارق) كان كالضيوف وليس كأصحاب المأتم، حيث دخل في بداية العزاء، وجلس في آخر ركن في الصوان، يشعل سجائره ويترنح بشكل مريب، فاستمع إلى ربع واحد ثم بقي مع أصدقائه خارج الصوان يدخنون السجائر ويشربون القهوة فنجانًا تلو الآخر، وبدأت أصواتهم تتعالى بالمزاح والضحكات مستفيقين على تنبيهات المحيطين بهم.

على جانب آخر بعيد شيئًا ما، كان هناك مأتم من نوع آخر في نفس الشارع، ولكن هول كارثة فقد الطفل إيهاب وموته سحبت الأنظار ولفتت القلوب نحوها فلم يشعر أحد بمدى القلق والحيرة والرعب في بيت (صباح) موظفة البنك التي تسكن في البيت المجاور والملاصق تمامًا لبيت الحاج علي عبده، والتي فقدت أمها العجوز مساء نفس اليوم الذى توفي فيه الطفل، وطوال يوم كامل طفقت (صباح) تبحث عن أمها في كل مكان دون جدوى، ليكون يومًا حزينًا على أهل الحارة، أصاب كل بيوتاتها بحالة من الترقب والخوف والرغبة في إغلاق الأبواب بالمتاريس.

وفي صدارة الصوان طوال العزاء، كان فيضان الدموع المحبوس والمتحجر في عيون عم (على) أصدق دليل على حب هذا الرجل لحفيده الجميل (هوبا) كما كان يسره أن يناديه.

فـ (إيهاب) لم يكن طفلًا عاديًا، لا في شكله ولا طباعه وأخلاقه، وكأن الله أراد به أن ينجو من براثن فساد أبيه، فيشبه أمه في كل شيء، حيث كان بياض وجهه وبراءة ملامحه وشعره الأسود المنسدل الناعم، وهدوءه ورقته وأدبه الجم في الحديث، كل ذلك يمنحه جواز سفر موثق يجتاز ويخترق من أمامه ويحظ فورًا بالقبول والحب.

مات (إيهاب) على سريره بملابس المدرسة، التي لم يستطع تبديلها بعد عودته مرهقًا راغبًا في النوم، وكانت آخر كلماته لأمه في هاتفها المحمول:

- أيوا يا ماما...

- أيوا يا روحي...أنت جيت البيت؟!

- آه يا ماما جيت...وبرضه نزلتي!!!

- معلش يا حبيبي...والله نزلت أشتريلك المقلمة بتاعة ريال مدريد اللى كنت طالبها اللى مرسوم عليها رونالدو..

- بجد!!!..... يا حبيبتي يا ماما

- شفت بقي... يالا يا حبيبي...بس اقلع هدومك والنبي يا هوبا وعلقها ع الشماعة... وخلي تيتة تحطلك تاكل... تيتة محمرة لك بطاطس كتير أوى...وأنا مش هاتأخر.

- تيتة مش هنا؟!

- ليه؟!!... راحت فين؟!...

- نزلت تجيب عيش علشان تعملي حاجة آكلها.. وقالت لي جاية علطول...وعلى فكرة.... أنا دخلت المطبخ مفيش بطاطس ولا حاجة!!

- هههههههههههههههههه.... طب يا حبيبي أنا مش هاغيب عليك...بالظبط نص ساعة وهاكون عندك واعملك أحلى غدا...

انتهت المكالمة، وانتهى عهد اللقاء في الدنيا بين الأم وابنها، حين دخل فراشه وحيدًا، حيث غابت جدته وتأخر حضور أمه أكثر من ساعتين، ومنعه الكسل

والنعاس من تبديل ملابسه، فدخل فراشه وسافر ذهابًا بلا عودة.

نام (إيهاب) ولكنه قبل أن ينام شاهد ما فوق طاقته، وما يصعب حمله وتحمله إن عاش وأكمل حياته.

نام (إيهاب) وغط في نومه وهو يبكي... ولكنه استيقظ قبل موته لمدة ثانية واحدة... ثانية واحدة فقط تحمل من الفزع الكثير

ثانية واحدة رأى فيها بين النوم واليقظة وسادة سميكة قوية تقترب من وجهه وتضغط على مخارج أنفاسه حتى فارق الحياة.

كعادة البيوت التي يقام فيها عزاء، لا يبرح بعض المعزون المكان خاصة من السيدات إلا بعد اطمئنانهم على أهل الفقيد، خاصة السيدات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

لذلك وجدت الحاجة (سماح) صعوبة شديدة في إقناع عدد كبير من أقاربها وأخواتها القادمين من الريف بعدم المبيت معها لمواساتها، متحججة بأن (سمر) صديقة ابنتها لا تتركها ولا تغادر المكان لتلبية كل احتياجاتها واحتياجات عم علي، بل إن (سمر) نفسها كانت هي الأخرى تحاول إقناع أكبر عدد من المتطوعات للمبيت في العدول عن الفكرة والعودة لبيوتهن، وأنها لن تترك بيت الحاج علي وستقيم معهما حتى خروج (رحمة) وتماثلها للشفاء، فضلًا عن أن الشقة صغيرة ولا تحتمل مبيت كل هذا العدد من السيدات.

وبنسبة كبير فقد اقتنع الجميع رغم قرابتهن الشديدة من الحاجة (سماح) بعدم المبيت واضعين ثقتهن في (سمر) وبأنها الخير والبركة وداعين لها بعد مجهودها الجبار، وإخلاصها في خدمة أختها وصديقة عمرها في محنتها.

إلا واحدة... فتاة صغيرة لم تستطع محاولات (سمر) إقناعها نظرًا لحبها الشديد لخالتها الحاجة (سماح)، ونيتها المبيتة وقرارها المتعمد في المبيت يوم العزاء.

إنها (أنوار) الشابة الممتلئة بجمال الريف ونضارته، والطموحة دائما في التعلق والارتباط العاطفي بشاب من خارج قريتها، والدائمة القراءة لروايات الحب والرومانسية، وقصص العشاق وشعرهم وقصائدهم.

وبالفعل، كان (شادي) الشاب اليافع الوسيم طالب الجامعة الذي يسكن أمام بيت الحاج (على) قد رمى شباكه منذ ٥ أعوام سبقا هذا اليوم، حين شاهدها في فرح وليلة زواج (رحمة وطارق الهواري)، وظل منذ ذلك اليوم على وصال الحب معها متراسلين على الـ Facebook والـ Whatsapp، مستغلين كل فرصة مواتية تمنحهم لقاءً طبيعيًا دافئًا، يختلف شكلًا وطعمًا عن محادثات الموبايل الباردة.

لهذا السبب كانت (أنوار) مستميتة في المبيت، وعازمة على ألا تغادر القاهرة قبل أن تلتقي بـ (شادي)، ولو لدقائق معدودة، رغم حبها الشديد فعلًا لخالتها (سماح) التي تشعر معها بالحنان والحب، وتعتبرها أمها الثانية، ولكن كما يقال في المثل البلدى (لاجل الورد ينسقي العليق).

مرت الساعات... وانفض الصوان والعزاء... وبدأ البيت يخلو من الموجودين، إلا بعض الجيران منهم (صباح) المكلومة في غياب أمها ولكن ذلك الأمر لم يمنعها من مواساة الحاجة (سماح) في كارثة فقد حفيدها، فارتمى كل منهما في حضن الآخر وراحا يبكيان بحرارة وألم.

مرت ساعة أخرى من الليل الطويل... وغادر الجميع بيت الحاجة سماح تاركين أهل الفقيد لآلام الليل وشجونه، وعذاب الذكريات.

هنا شعرت الحاجة (سماح) حقًا بالارتياح لوجود ومبيت (أنوار)، فأهل الميت ينقلبون حيال هذه اللحظات أطفالًا تخاف الليل وتحتاج للمواساة وللتلاهي عن

مصيبتهم.

- أهلا يا (أنوار)...تعبناكي يا حبيبتي

- ده كلام يا خالتي.... إزاي تقولي كده...أنت مش عارفة غلاوتك عندي ولا إيه؟!... ده أمي اتحايلت عليا قد كده علشان أروح معاها قلت لها أبدًا..ما أسيبش خالتي في الظروف دي!!

- أصيلة يا حبيبتي.

وبحنان الأم والدموع تملأ عيونها جذبتها لحضنها وبكا كلاهما، في مشهد لم يرق لـ (سمر) كثيرًا، فهي بطبيعتها رغم شهامتها وحبها لصديقتها إلا أنها تحب دائمًا أن تتصدر المشهد وحدها، وألا يشاركها أحد في ذلك.

كما أنها لم تخف امتعاضًا من طريقة (أنوار) في الرفض لفكرة العودة للقرية، حين كانت تقنعها بذلك، وكأنها شعرت بما يدعى في لهجتنا الدارجة (كُهن الحريم) أن وراء مبيتها أمر يدبر، وغرض مغاير لفكرة حبها لخالتها وحرصها على مواساتها.

ساعة أخرى من ساعات الليل التحقت بسجل الماضي، وبدأ السكون يحل على أركان البيت خاصة حين استطاع الجد والجدة النوم بعد معاناة، ودخلت (سمر) منهكة فارتمت للنوم في غرفة (رحمة وإيهاب)، وافترشت (أنوار) لحافًا سميكًا في الصالة، وقد ساعدها موقعها من المبيت في التمتع بوصلة الحب والغرام اليومية في مثل هذا التوقيت، فمع دقات الثانية بعد منتصف الليل يحين موعد مكالمة (شادي) حبيب القلب، وهذه المرة ليست بعادية، حيث تحدثه عن قرب ويبيتان على وعد تدبير لقاء بأى ثمن في الصباح، فأية سعادة تنتشي بها الآن في قلب هذا البيت المكلوم.

بالفعل، خرجت (أنوار) من تحت الغطاء خلسة، واعتمدت على ضوء اللمبة الساهرة أمام الحمام، والتي يحب عم (علي) ألا تنطفىء لتساعده على الوصول للحمام آمنًا والوضوء وقت صلاة الفجر.

ارتكنت (أنوار) في آخر جدار في البيت ليكون المشهد أمامها واضحًا فور أن تلمح أحدًا مستيقظًا، وأمسكت بهاتفها المحمول وبدأت وصلة الغرام.

لكن...

لماذا نسيت (أنوار) أن اليقظة في مثل هذا الوقت وفي هذا الظلام، وفي بيت مات فيه طفل بالأمس.. أمر غير مأمون الجانب؟!

لماذا لم تفهم أن الطاقات التي تتحرك في مسارات وإحداثيات داخل بيت كهذا تختلف كلية عن كل البيوت المجاورة في ظروفها الطبيعية، فضلًا عن أن وفاة (إيهاب) لم تكن مطابقة لذلك السيناريو المحفوظ والذي يردده ويعتقده كل من كان في العزاء؟!

هل تحتاج (أنوار) تلك الفتاة النّضرة أن تواجه بعض ما قد يُصيبها بالشحوب طوال عمرها، جراء التعرض لمفاجآت سكون الليل في مثل هذا التوقيت الحرج؟!

كانت (أنوار) تتحدث هائمة بصوت رقيق متهدج هامس لحبيبها، وعيناها لا تغادران صورتها المقابلة في مرآة توجد أمامها ولكنها بعيدة في آخر جدران البيت المواجهة لجلستها.

مرآة...إنها مرآة عادية تكسو الجدار... يحبها سكان المناطق الشعبية ولا غنى لهم عنها في تشطيب بيوتهم خاصة في الصالون.

مرآة تعكس ما يقابلها..كأى مرآة في الكون.... فلو كانت (أنوار) مثلًا جالسة تتحدث في الموبايل ضامة ساقيها على الكنبة، إذن فالصورة تبدو كذلك كما تراها (أنوار) لا تبديل ولا تغيير..مرآة!!

ولكن الظلام لا يؤتمن... فله قوانينه التي تعبث وتلهو كالطفل غير الرشيد في مثل هذه الأوقات.

ورغم أن تركيز (أنوار) منصرف تمامًا عن النظر فيما يبدو لها في المرآة، حيث أنها مشغولة بحرارة المكالمة، إلا أنها تشاهد – وبشكل طبيعي جدا - نظيرتها في المرآة معتمة كالظل بفعل الظلام تجلس مثلها تمامًا وتتحرك مثلها.

إلا في هنيهة واحدة، أفقدتها تركيزها وشردت عما يدندن به العاشق الولهان (شادي) على الجانب الآخر.

هنا، كذّبت (أنوار) عيناها، وبدأت تتصرف كلية عما يقوله (شادي)، وتطلب منه إعادة ما يقول معتذرة له... ولمَ لا وهي - للحظة - لمحت نظيرتها في المرآة لا تتحرك مثلها كليةً.

شردت (أنوار) تمامًا عن حديث (شادي) الساخن، بل إنها بدأت تشعر بسخافته أمام ما تراه الآن، وقررت أن تشركه معها

- شادي... معلش أنا مش مركزة معاك يا حبيبي

- آه.... ما أنا حسيت..وواخد بالي...ممكن أعرف فيه إيه؟!

- مش عارفة..بدأت أحس بالخوف..يا ريتني ما بت هنا!!

- ليه بس يا روحي...ما كنا كويسين وبادئين المكالمة حلو؟؛!!

- مش عارفة يا شادي.... خايفة أوي

- خايفة من إيه يا قلبي بس؟!

- حاسة إن فيه حاجات حواليا مش مظبوطة

- زى إيه؟!

- أنا دلوقتي مثلًا متسمرة خايفة أتحرك خالص

- ليه يعني.... خالتك صحيت ولا إيه؟!

- يا ريت... ده أنا صاحية لوحدي..بس قاعدة قدام مراية خايفة أتحرك من قدامها

- مش فاهم؟!

- بص...هتصدقني ولا هتقول عليا هابلة؟!

- انت هابلة من غير حاجة بس قولي

- أنا من شوية اتحركت قمت نص قومة اسحب منديل م العلبة اللي ع الترابيزة ما لقيتش المراية زيي

- إيه؟!.... بتقولي إيه؟!.... أنوار انت نمتي.... ولا مدروخة عايزة تنامي؟!

- نمت إيه بس يا شادي.... با قولك هاموت في جلدي م الخوف

- خلاص خشي نامي..نقفل والصباح رباح

- لا لا لا...ما تقفلش.... أنا مش هاقدر أقوم من مكاني..يا شادي..أنا رفعت إيدي بعدها لاقيت اللي زيي في المرايا مش بترفع إيديها

لوهلة، أنتابت (شادي) حالة من الندم وهاجمه هاجس: ماذا لو كانت (أنوار) مريضة نفسيًا ولم يدرك ذلك إلا الآن؟!، ولكن ثمة قلق آخر أنتابه خوفًا عليها، فبدأ يحاول طمأنتها

- يا حبيبتي... إيه اللي بتقوليه ده؟!.... اقري قرآن كده..وخشي نامي حالًا...أنت تلاقيكي زعلانة على إيهاب ابن أختك... بلا مرايا بلا عبط

- لا يا شادي أرجوك ما تقفلش...أنا مش عارفة آخد نفسي.... شادي.... شاااادي... شاااادي..... إلحقني..... إلحقني

- أنوار.... أنوااااار.... أنوااااار

انتهت المكالمة، واضطر (شادي) أن يدخل رغم أنفه لينام في هذا الهلع، متمسكًا بآخر أمل أقنع به نفسه أن يكون ما سمعه مقلب سخيف من حبيبته، أو لعلها حجة لإنهاء المكالمة قبل أن تستيقظ خالتها أو زوج خالتها فيرونها.

ولكن (شادي) لم ولن يتوقع أن (أنوار) المعتمة التي في المرآة لم تكتف بعدم تقليد (أنوار) الحقيقية في حركة أو حركتين، بل تفاقم الأمر إلى أنها قامت من مكانها بتأنٍ مفزع وتكسر في مشيتها وراحت تقترب نحو (أنوار) القابعة في آخر أركان البيت، فأجبرتها على الصراخ ورمى الموبايل على الأرض، وعلى أشياء أخرى هى أقل ما يمكن أن يحدث بعدما شاهدت حقيقة من اقترب منها.

كعادته فى نومه المتقطع استيقظ (د. مريد) مادًّا يده من تحت دفء الغطاء لفتح (لمبة الأباچورا)، ومن ثم امتدت يده ثانية نحو علبة السجائر وهاتفه المحمول، فتلك هى عدة الأرق الكلاسيكية المعتادة، واتجه نحو البلكونة فورًا خاصة بعد سماع رد

فعل زوجته الكلاسيكى أيضًا في مثل هذا الموقف كل يوم، حيث بادرته فور فتحه لـ (الأباچورا) بتعبير صوتي دارج نعرفه جميعًا يدل على التأفف:

- تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ تؤ!!

- خلاص خلاص خلاص... من غير تأتأة أنا قايم أهو ... هاشربها في البلكونة!!

ورغم البرودة الشديدة وهواء الشتاء الخطر إلا أن (د. مريد) رجل شتوى المزاج محب لمناخ البرودة ويعتبره محرض على الأفكار الإيجابية الناجحة، وبالأحرى بعد أن أصبح ممسوسًا بالرعب، ومتماسًا مع مناطق تفكير محرمة وغريبة قد تخطر على البال، خاصة وهو أحد فريق (مسارات نون) التى اجتاحت حياته وحياة بقية الفريق رغمًا عنهم، واقتادتهم نحو مصير لا يعلمون آخره ولا يتوقعون له نهاية.

أصبح (د. مريد) أكثر عمقًا وشرودًا وحبًا للعزلة، رغم حبه لزوجته وأولاده وحرصه على قضاء معظم وقته معهم ما دام ليس في المستشفى، لكن المسار الإجبارى الذي يجد عقله يتجه فيه لا يملك حياله إلا الاستسلام والاسترسال ومواصلة البحث والتفكير فيما حدث وما سيحدث، مستعينًا بفناجين القهوة والمزيد من السجائر ومحرك البحث على هاتفه المحمول إن لزم الأمر.

ومهما مرت الأيام فلم ينس (د. مريد) ـ وإن حاول ـ شبح القتيل (رامى) الذي ظهر في المستشفى وتعقبه لزوجته النزيلة في إحدى الغرف حتى أجبرها على الانتحار!!

أو تلك الصور التذكارية للعجوز (إحسان المانسترلى) التى كانت تتحرك وتتحدث في الظلام وتطارد حفيدتها التي ذبحتها بدم بارد!!

أو شبح الطفلة (برديس) الذي حبس أنفاس قرية بأكملها ثم توحش وافترس الجاني داخل زنزانته ببشاعة بعد افتضاح أمره ومحاكمته!!

كلها حكايات عاشها ملء السمع والبصر، وليست بالنسبة له في عداد الأساطير والخرافات، وجميعها يزيده إصرارًا على كتابة بحثه الكبير الذي سيقلب أوساط الطب النفسي رأسًا على عقب حول الطبيعة المادية الفيزيائية لـ (مسارات نون)، وإحداثياتها وخطوط الطاقة السلبية التى تتحرك فيها ومن خلالها تتعقب الضحية قاتلها وتنتقم منه.

ظل (د. مريد) يدخن السيجارة تلو الأخرى ويتصفح هاتفه المحمول، حتى وقعت عيناه وهو يقلب في صفحته على الـ Facebook نعيًا للطفل (إيهاب) نشره أحدهم على صفحته وعلّق عليه أحد أصدقائه.

وبطبيعة الحال لم ينجذب للأمر إلا بقدر ما يستدعي من شفقة على طفل صغير رحل وترك لأهله المعانا ة والعذاب، فمرر إصبعه على الشاشة مقلبًا فى صفحته، ولكن لوهلة لمع فى ذهنه كلمة (وكيل نيابة) قرأها وسط النعى.

فعاد - بطبيعته الوسواسية - يقلب للوراء فى هاتفه آملًا أن يصل للنعي فلم يجده، فحاول تذكر اسم الشخص الذي علّق عليه من صفحته، فهو أحد أصدقائه

الافتراضيين الذين أضافهم ذات مرة دون أن يعرفهم في الحقيقة، ربما لكون (مريد) طبيبًا نفسيًا مشهورًا وصاحب مستشفى كبير لعلاج الأمراض النفسية والعصبية.

ولكنه حاول استرجاع الاسم والبحث عنه حتى وجده، وأعاد قراءة (البوست) وتسمّرت عيناه على العبارة: (ونحن إذ ندعو لأهله أن يلهمهم الله الصبر والسلوان ...نهيب بالسيد عرفان البيطار وكيل نيابة المرج وابن عمي الحبيب أن يصل للحقيقة في أسرع وقت ويكشف السر وراء الموت الغريب والمفاجئ لهذا الطفل البريء).

لا شك أن الحياة لم تعد بريئة لأمثال (د. مريد) ومعه بقية فريق مسارات نون، وأضحوا يحملون الأمور العادية أثر مما تحتمل، بل أنهم باتوا يمتلكون حاسة سادسة تجاه الجرائم الغامضة، والأحداث الغريبة، فمن غموض البدايات يتوقعون مفاجأة مفزعة في النهايات.

فضلًا عن أن مسارات نون قد اختارت من اختارت، واصطفت من اصطفت، ولها شباك تتمكن بها الوصول إلى من يجيدون فهم رسائلها ولوغاريتماتها.

لم ينتظر (د. مريد) كثيرًا، وعلى الفور أرسل إلى صديقه كاتبًا:

مساء الخير..

أو آسف صباح الخير..

البقاء لله في ابنكم إيهاب

حضرتك أكيد تعرف أهل الطفل ومتواصل معاهم لو حد من أهله احتاج أى استشارات نفسية أو مساعدة أنا تحت أمركم أنا الدكتور مريد عز الدين صاحب مستشفى (حياة) للأمراض النفسية والعصبية اللي فى مصر الجديدة وتليفوني: ٠١٢٠٢٠٠٥٥٠٥

أشكرك وربنا يصبر أهله ويصبركم.

لم يتوقع (د. مريد) ردًا سريعًا على الرسالة، فالساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل ولعل متلقى الرسالة في عداد النائمين، ألقى (د. مريد) بهاتفه المحمول أمامه على الطاولة وأشعل سيجارة، ثم وقف ميمَّما وجهه شطر الشارع ناظرًا للحديقة التى أمامه بسكونها وظلمتها وصوت الليل الصادر من داخلها.

وراح يفكر ... هل هى إحدى رسائل نون الغاضبة؟!.... هل نحن بصدد مغامرة جديدة؟!.... وهل سنخرج منها أحياء هذه المرة؟! ...أم ربما سندفع حياتنا ذات مرة ثمنًا لمعرفة الحقيقة؟!

كل هذه الهواجس حاصرت (د. مريد) وقضت على فرص وصلة النوم المعتادة حتى الصباح، حتى خطر على باله الاتصال بـ (حمزة التاجي) أسرع من يفهمه ويوافقه في خوض غمار هذا الجنون دون أن يناقشه أو يتردد لحظة في الانخراط معه، بخلاف (نزار غنيم) و(فدوى عبد الدايم) اللذين يأخذان من الوقت الكثير كى

يستعيدا لياقة مسارات الرعب وقبول دخول دوائر الفزع وعوالم نون الغريبة من جديد.

ولكنه أجل كل هذه النوايا والقرارات إلى أن يرد عليه صديقه على الـ Facebook صباح الغد، وإن غدًا لناظره قريب، فقرر الدخول لفراشه وطرق باب النوم لعله ينفتح.

ولكن، بمجرد أن دخل (د. مريد) فراشه ووضع رأسه على الوسادة إلا وسمع صوت رسالة الـ Messenger، فرفع الغطاء سريعًا وأمسك بالموبايل وقرأ الرد:

- أهلًا وسهلًا بحضرتك يا دكتور مريد.... يشرفنى إنى من المتابعين لصفحة حضرتك

ومتشكرين جدًا ... مش عارف أشكرك إزاي... عمومًا أنا هابلغ أسرته وهارد على حضرتك بكره بإذن الله.

ترك (د. مريد) الموبايل ودخل مجددًا تحت الغطاء حيث بدأ خيط النعاس يداعبه، وقبيل أن تسافر عيونه محلقة في عالم الأحلام، لمح فى مرآة التسريحة أمامه ما جعله ينتفض من مكانه ويتأكد من ثبوت وصول أولى رسائل مسارات نون.

لقد لمح (د. مريد) امرأة عجوز مبعثرة الشعر الأبيض شاخصة خلفه فوق رأسه، وبادية في المرآة أمامه، فلما استدار بسرعة لم يجد شيئًا.

- لاااا ..شكرًا كده ..... ما بديهاش!! .... كده تليفون حمزة وجب ..وبعدين نشوف هنعمل إيه؟!!

قالها (د. مريد) بصوت مسموع، وتزامن ذلك مع تقلب زوجته ويقظتها وهو يتكلم فبادرته بقولها:

- بتكلم مين يا حبيبي؟!

- مفيش حاجة.. نامي يا داليا

فنظرت حولها ولم تجد أحدًا، فكررت سؤالها:

- يعني إيه يا مريد..بتكلم نفسك؟!

- يا ستي آه...إيه المشكلة... افتكرت حاجة في الشغل فبقولها لنفسي بصوت عالي سريعًا، وقعت عينا زوجته على هاتفه المحمول بجانبه، في إيماءة منها أن ثمة مكالمة غرامية ورائحة خيانة خلف ما يحدث، وهو الهاجس الأول لكل زوجة مصرية أصيلة.

ففهم (د. مريد) مقصدها، وأراد أن يعيدها للنوم، فأمسك لها الموبايل وطلب منها معاينته بنبرة صوتية ساخرة، ولكنها نظرت إليه في توجس واستدارت لتكمل نومها قائلة في حنق:

- لا شكرًا... لو هتفضل صاحي صحيني على ٦ علشان ما عملتش ساندوتشات للولاد

لم يجرؤ (د. مريد) على رفض ذلك الطلب، رغم رغبته في النوم لأنه يحتاج في لحظات كهذه للتفكير منفردًا وللشرود، وهذا في حد ذاته يثير حفيظة زوجته التي أصبحت تعترض على معظم أسلوب حياة (د. مريد) منذ أصابه مس مسارات الطاقة السوداء.

قام (د. مريد) ممسكًا بعلبة السجائر والموبايل متجها من جديد للبلكونة وهو يقول في سره:

وآدى سهرة في البلكونة لحد ما الشمس تطلع.... يا نهار أسود..دى قلقت من كلمتين سمعتهم...أومّال لو عرفت إن فيه عفريت كان مشرف في الأوضة وواقف جنب السرير هتعمل إيه؟!.... باين علينا لسعنا ومش نافعين تاني!!

تختلف صباحات وإشراقات البيوت المصابة بالحزن عن مثيلاتها العادية، والتي تشرق شمسُها على حياة نمطية معتادة قد يألفُها صاحبها بل يمّل منها أحيانًا ولا يدرك قيمة هذا الصباح المتكرر الممل إلا حين يصيبه الحزن.

فشروق الشمس عند أهل الحزن يبدو كنقلة مباشرة وسريعة من الجنة إلى النار، من البارد للحار، فالرجوع من واحة الأحلام وتخاريف النوم إلى أرض الواقع بآلامها ومرارتها يشبه السقوط من أعلى قمة في الجبل إلى سفحه.

هذا هو حال الجدين (علي عبده) و(سماح)، أما (رحمة) ابنتهما فلا تزال في غيبوبة لا تدري من عالم الواقع ما قد يؤرقها أو قد يعزيها.

ولكن صباح بيت الحاج (علي) في هذا اليوم كان مصحوبًا بقلق مضاعف مع كثير من الذعر، نظرًا لاستيقاظهم - مبدئيًا - على صرخات (أنوار) ثم ما أصابها من حالة وجوم وصمت تام، جعلها لا تجيب على أية أسئلة تواجهها ممن حولها.

ومنذ استيقظ البيت في الثالثة من صباح اليوم لم ينم أحد منهم ثانية، وظلّوا حول (أنوار) التي ظلت ترتجف وتنظر أمامها جاحظة العينين بريبة وخوف، وظلت (سمر) تنظر لها بشيء من الشماتة والتشفي ولسان حالها يقول: أحسن تستاهلي... إيه اللى خلاكي تباتي؟!!

ولكن (أنوار) لم، وربما لن تحكي عما شاهدت لمن حولها، أولًا لأنها لن تستطيع وصف ما حدث وما رأته شاخصًا أمامها، ثانيًا لأنها قررت أن ترحل إلى بلدها بلا رجعة، وأن تطوى صفحة بيت خالتها بكل تفاصيله، بعلاقتها بحبيبها (شادي) ولو مؤقتًا، إلى أن تنسى ما تعرضت له في هذه الدقائق المفزعة.

وبعد مرور أولى ساعات الصباح كانت هناك سيارة أرسلها والد (أنوار) لها من البلد لتأخذها، ليبدأ الحاج (على) ومعه زوجته و(سمر) الالتفات لأمر أهم مما حدث لـ (أنوار)، وهو (رحمة) وزيارتها ومتابعة حالتها وهل يسمح لها طبيب المستشفى أن تغادرها وتعود لبيتها أم لا؟!

وبالفعل اتجه الجميع للمستشفى عازمين على اصطحابها معهم بأى ثمن، ولعل هذا اعتقاد سائد عند كثير من البسطاء أن بيت المريض خير له بكثير من أفضل مستشفيات العالم.

وقد كان لهم ما أرادوا، فالمستشفى التي أسعفت (رحمة) لم تكن على درجة من الاهتمام والدقة والحرص، بما يجعلها تتمسك بمريض يعاني من حالة نفسية وليست عضوية ظاهرة، فبمنتهى السهولة تركوها تخرج بعد دفع حساب غرفة لمدة يومين، مع روشتة ممتلئة بأدوية ومهدئات وحقنة منومة إن لزم الأمر، فليست هذه نوعية المستشفيات التي تمنع مرضاها من الخروج خوفًا من مضاعفات قد تحدث لهم أو أن حالتهم الصحية لا تسمح لهم بالخروج.

دخلت (رحمة) البيت، دون أدنى سيطرة على ملامحها الجامدة الشاردة التي لازمتها طوال الطريق من البيت للمستشفى، وعند عتبة الشقة فقدت ثباتها واتزانها، وأطلقت صرخة ألم حملت أسى ١١ عامًا من الذكريات عاشتها مع فلذة كبدها تطعمه وتنظفه وتحمله وتشم رائحته وتربي فيه الرجل والسند الذي لم تجده في زوجها.

وانخرط معها في البكاء والداها اللذان لم يعدا يتحملان ما يحدث، ولولا وجود صديقتها وأختها في الرضاعة (سمر) لأنتهت حياة هذه الأسرة بعد هذه الفاجعة.

احتوت (سمر) الموقف، وأغلقت باب البيت وبدأت غرفة عمليات لخدمة ومواساة وراحة (رحمة)، وصارت مشتتة بين إعداد الطعام، ومعاونة عم (على) في دخول الحمام إذ صار يشعر بصعوبة في الحركة بعد ما حدث، وتذكير خالتها (سماح) بموعد دوائها.

عم (علي) و(سماح) كأنا زوجين متحابين، كانا يتمنيان لابنتهما أن تعيش حياة سعيدة وأن يكون من نصيبها زواجًا ناجحًا كزيجتهما، وكلاهما ليس طاعنًا في السن بل إن الوفاة هي التي أصباتهما بالهرم المفاجئ، فكلاهما يعمل بكل نشاط وحيوية في هيئة ومؤسسة حكومية.

عم (علي) لا يزال في الخدمة حيث لم يتم العقد السادس من عمره، وزوجته كذلك تعمل في مستشفى الساحل التعليمي كرئيسة الممرضات.

وكانت (رحمة) دائمًا تحسد والدتها على مرحها وإقبالها على الحياة، وتتهمها بالروقان الزائد، وكانت تتعجب من الوقت الذي يمكن أن تُمضيه - وهي سيدة تبلغ من العمر ٤٧ عامًا – أمام المرآة تتأنق وتتزين بمكياج كامل قبل الذهاب لعملها، ولمَ لا وزوجها كان من يشجعها دائمًا على ذلك، ويدللها ويتعامل معها كأنهما يافعان حديثا الزواج، وفوق هذا كانت (سماح) لديها رصيد كبير لم يعبث به الزمن من الجمال والأنوثة، وقد ظلّت موجودة ولكن بمواصفات تليق بسيدة خمسينية.

لم تتوقف (سماح) ولا زوجها عن الدعاء لـ (سمر)، وشكرها على كل ما تفعله وتقوم به:

- ربنا يحميكي يا سمر يا بنتي ويكرمك ويديكي على قد تعبك معانا...

- ربنا يخليكي يا خالتي... تعب إيه بس...اوعى تقولي كده..ده أنا مهما أبات أعمل مش هاوفي خيرك ولا خير عم علي..ده أنتوا أبويا وأمي

- تعيشي يا حبيبتي... ربنا يجمعك بحامد على خير يا رب

- لا والنبي يا خالتي..شوفيلي دعوة تانية إلا دي

- ليه بس يا بت..ده حامد بيحبك وشاريكي

- لو بيحبني وشاريني كان زمانه خلص من بدري..لكن ده شكله مستحليها وعاجبه الوضع..طب والله لولا اللى حصل ده ما كنا رجعنا نتكلم تاني...أنا كنت محرّجة عليه يكلمني.

- أهو الراجل طلع مجدع ووقف معانا أهو...مش أحسن من اللي ما يتسمى سي زفت طارق اللي ما نابنا منه إلا كل غمّ وهمّ..ده ما كلّفش نفسه حتى يكمل العزا

- والله ياخا...

صرخت (رحمة) بعصبية وحنق:

- كفاااااااااية.... كفاااااية...مش عايزة أسمع كلام حواليا...مش قادرة أسمع حد... مش قادرة أسمعكم وأسمع كلام عن الحياة تاني.... أنا عايزة هوباااا...عاايزة هوباااا.... عايزة ابني...هاتولي ابني

وانفجرت في البكاء الهستيري، ولكن في هذه المرة أشار الجميع لبعضهم البعض أن اتركوها، دعوها تبكي كي تخرج ما بداخلها..

مجددًا، تشخيصات طبية شعبية غير مدروسة تزيد الطين بِلة، ولكنها طبيعة المصريين عمومًا فجميعهم أطباء ومدربو تنمية بشرية، وخبراء طاقة وتحسين قدرات.

ولكن يبدو أنه موعد الدواء المهدئ، وقد عرفته (سمر) من الطبيب فبادرت (رحمة) به بعد أن ألحت عليها بطبق شوربة ساخن، ولم تتركها إلا وهي ممتثلة لنوم عميق.

- طب أنا هاتكل بقي يا خالتي..

قالتها (سمر) بصوت مرهق ومحبط

- (سماح): لا إوعي تقوليها..حرام عليكي..ده انت لو مشيتي يا بت هيجرالنا حاجة...أنتي زعلتي من عصبية أختك رحمة ولا إيه؟!

- (عم علي): ليه بس يا بنتي...حد ضايقك في حاجة..ولا مش مرتاحة معانا... اعملي معروف ما تسيبينا

- (سمر): يا نهار أبيض... أوعوا تقولوا كده..يقي ده كلام...الله يكون في عون رحمة... ده ضناها يا ناس... بالعكس ده أنا متونسة بيكم وخايفة أرجع بيتي والله... بس لازم أروح أبات هناك علشان أعمل شوية حاجات لأن من ساعة اللي جرا وأنا سايبة البيت يضرب يقلب...

- (سماح): طب روحي شوفي بيتك وظبطي أمورك وتعالي باتي هنا

- (سمر): ماشي يا خالتي...هاروح بس أغسل غسلة وانشرها وآجي أبات تاني.

- (عم علي): ربنا يبارك لك يا بنتي...اليومين دول بس..لحد ما أختك تقف على رجلها بس

- (سمر): يا خبر أبيض يا عم علي...ما تقولش كده... عينيا حاضر

دخل عم (علي) غرفة ابنته ليرقيها ويطمئن عليها، وأمسكت الحاجة (سماح) بمصحفها الذي لا يفارقها وراحت تقرأ في محاولة يائسة للبحث عن السكينة، وقد بدا عليها ذلك من يديها المرتعشتين وتسرعها في القراءة، وكأنها تشعر بشيء ما حولها يحول بينها وبين الطمأنينة.

زوابع مسارات نون جامحة هادرة.... قد تتأخر ولكنها تحضر في موعدها.... فهي تختار توقيتاتها..وتعرف متى تداهم وتحضر وتسيطر وتحتل.

خرجت (سمر)، وسحبت معها شيئًا من الدفء والأمان، تركت عائلة (إيهاب) لهواجسهم ومخاوفهم وسكونهم وصمتهم، ورغم أن البيوت في الحارة الشعبية تظل تنعم بونس الشارع وصوت الباعة في الحارة وحركة الناس إلا أن الشقة بدت باردة مخيفة، أصابت كلا الجدين بالرجفة وعدم الاتزان.

فهرع عم (علي) هو الآخر إلى مصحفه وراح يتلو منه في الصالة بصوت عالٍ لعله يسكن أو يستقر، ولكن زوجته لم تكن على ما يرام وبدت في حالة غريبة، حيث طفقت تروح وتجيء في الشقة بطريقة تثير التوتر حتى نبهها زوجها لذلك:

- فيه إيه يا حاجة..مالك بس.... إهدى!!

- مش عارفة يا علي.... تعبانة...هاموت..تعابانة أوي

- ما كنتي كويسة... تحبي أنادي سمر م الشباك

- لا لا سيبها تشوف اللي وراها... ما إحنا مسيرنا هنعيش من غيرها

- طب تعالي جنبي أما أقر لك قرآن..تعالي

اقتربت منه (سماح) وهي ترتجف من الخوف... وعيناها تزدادان اتساعًا..ودخلت في حضنه وراح يتلو عليها رقوة من القرآن

وفجأة بدون مقدمات، انتفضت من مكانها وأزاحت يده بقوة، وصرخت:

- مش قادرة..مش قادرة يا علي.... أنا سامعاه.... شايفاه..مش عايز يسيبني...مش عايز يسبني

- هو مين يا سماح.... مين اللي مش عايز يسيبك..سماح ردي عليا!!

- مش عايز يسيبني.... مش هيسيبني... خبيني.... خبيني والنبي يا علي

- طب تعالي.... تعالي نخش نريح شوية..يمكن لما تنامي تهدي

- لا ما تقوليش كده... مش هانام...إحنا لازم نمشي...

- نمشي...نمشي نروح فين؟!

- نمشي من هنا.... نروح أى حتة...بس نعزل من هنا

- انت مش طبيعية على فكرة...ولازم تروحي لدكتور زى بنتك...لا حول ولا قوة إلا بالله.

- مش رايحة لدكاترة...أنا مش هابات هنا النهارده..فاهم...مش هابات هنا... اتصرف!!

- طب اهدي...اهدي بس.... علشان أعرف اتصرف

لم يعرف (علي) ماذا يفعل سوى أنه لجأ للاتصال بابن عمه وصديق عمره (سيد سليمان) الذي يجلس معه على القهوة باستمرار، فهو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يحكي له ما يحدث لزوجته الآن.

- ألو...أيوا يا سيد

- علوة...عامل إيه دلوقتي يا حبيبي؟!

- الحمد لله..سيبك مني أنا

- خير بس... انت إيه؟!.... أنت رحت لبنتك المستشفى؟

- أيوا يا سيدي.... بنتي بخير خرجت النهارده وربنا يتولاها بقي...أنا دلوقتي في مراتي...

- مالها؟!

- مش عارف مش متزنة كده... ومش عارف مالها.... عايزة أوديها لدكتور كويس هي وبنتي مش عارف أروح فين

- ابن حلال مصفي

- ليه؟!... خير؟!

- النهارده واحد من أكبر أطباء العلاج النفسي في مصر... الراجل اللى بيطلع في التليفزيون بتاع مستشفى حياة؟!...عارفه؟!

- لا مش واخد بالي...ماله يعني؟!

- ده صاحبي ع الفيسبوك... إمبارح بالليل لاقيته بيكلمني لوحده الظاهر اتأثر لما شاف النعي...وبلغني إنه قرر يساعد أهل الطفل اللى مات بدون مقابل.

- يا فرج الله... يا كريم يا رب...والنبي صحيح؟!!

- آه والله...ده أنا كان المفروض أكلمك أقولك بس مش عارف ليه نسيت...وأديك انت لوحدك ربنا بعتك علشان رايد بيك وبأهلك الخير

كانت هذه المكالمة بردًا وسلامًا على (عم علي)، الذي كان يحمل هم الأيام القادمة فهو لا يقوى على مصاريف العلاج النفسي الباهظة خاصة أنه على يقين بأن ابنته والآن زوجته صارا في أمس الحاجة للمتابعة مع طبيب نفسي، وتعاطي علاج كيميائي حتى يستعيدا توازنهما من جديد.

أنتهى (على) من مكالمته ونظر حوله فلم يجد زوجته، فدخل غرفة نومه ليجدها نائمة ولكنه نوم كالماء على المرجل يستعد للغليان والفوران، فدخل هو الآخر بجانبها متسللًا لينام، كان ذلك متزامنًا مع أنتصاف ليل هذا اليوم الغريب.

وقبل أن تقر عيناه بالنوم، قام مفزوعًا بعد أن أنتفضت زوجته من مكانها دافعة الغطاء بقدميها وهي تهتف:

- قووووم يا علي..... أنت سامع اللى أنا سامعاااااه؟!

- سامع إيه بس يا سماح...أنت جرالك إيه..يعني يارب مراتي وبنتي وحفيدي يروحوا مني مرة واحدة كده... رحمتك بيا يا رب

- يا علي.... رد عليا..... أرجوك...أنا مش مجنونة..لسه مش سامع

- أرد على إيه يا ستي بس؟!

- (ببكاء): انت سامع اللى أنا سامعاه؟!.... اسمع كده؟!

المفاجأة..

أن (عليا) بمجرد أن صمت أصغى... وعندما أصغى سمع.... وليته ما سمع...

الآن لم يعد في البيت من يقف على أرض صلبة، ويمتلك ناصية العقل والثبات، الهلع يحتل أركان البيت والخوف وعدم الفهم يعتري الجميع.

ولكن الصوت لم يكن عارضًا حضر ومرّ، أو حدث وانقضى كأن لم يكن... بل راح يتكرر، ويزداد حتى لم يدع لهما مجالًا للسيطرة الداخلية فأصبح الفراش مبللًا من فرط الخوف.

صمت الاثنان ولم يعُد في قواهما ما يمكنهما من الحركة أو الصراخ أو حتى الهروب من هول ما يسمعون.

فما عساه أن يكون ذلك الصوت الذي أصاب اثنين كانا في عداد الأصحاء نفسيًا منذ ثوان معدودة ثم تحولا إلى حالتين مستعصيتين تحار في علاجهما أكبر مستشفيات الصحة النفسية؟!

وبالرغم من أن وقع الصوت على عم (علي) - بما يملكه من ثبات انفعالي وطاقة روحية كونه لا يترك ورده اليومي من القرآن - لم يكن كوقعه على زوجته إلا أن الاثنين تسمرا في مكانهما ساعة كاملة كتماثيل شمع تصيب من يراهما بالذعر.

وفي الوقت الذي كانت فيه (رحمة) تستفيق من مفعول الدواء المهدئ، وبدأت تنادي على أمها، كانت (سمر) تطرق الباب بقلق وريبة مرارًا وتكرارًا في أنتظار من

يفتح لها.

فطرقت باب جارتهم (أم عاطف) طالبة منها أن تنظر من شباك المطبخ حيث يُرى منه مطبخ (سماح) وجزء من الصالة

- والنبي يا أم عاطف... اندهي من شباك مطبخك ندهتين كده.... وشوفيلي كده الجماعة دول جرالهم إيه؟!...أنا الفار بيلعب في عبي!!

- عينيا يا حبيبتي...ما تقلقيش...هي أم سماح كده نومها تقيل

ذهبت (أم عاطف) لتنادي على جارتها، فعادت بغير الوجه الذي ذهبت به، فاندهشت (سمر) من ملامح الذعر التي ظهرت على وجهها وسألتها على الفور:

- بسم الله الرحمن الرحيم.... أم عاطف.... مالك يا أم عاطف.... هي إيه الحكاية؟!.... مالك؟

(أم عاطف) لا ترد، وتتنفس بصعوبة وتبتلع ريقها.. فبادرتها (سمر):

- أم عاطف؟!.... ما تنطقي شوفتي إيه؟!

- (بصوت بالكاد يسمع): هوبا

- بتقولي إيه يا ولية...أنت شاربة حاجة... هوبا مين؟!

- إيهاب...إيهاب ابن اختك.... قاعد ع الكنبة في الصالة!!!

الدفء صناعة قاهرية، وتحديدًا في دروب وشوارع وسط البلد، وحتى الآن لا يعرف مرتادُها لماذا يشعر بالطمأنينة إذا ما دفعته الظروف أن يمرّ من طلعت حرب أو عبد الخالق ثروت أو عدلى، أو كان سعيد الحظ ودخل في نطاق عابدين وباب اللوق.

كعادتهم التى صارت جزءًا من علاقتهم وارتباطهم ببعضهم البعض، اتفق الثلاثة (د. مريد) و(حمزة) و(فدوى) على اللقاء فى الرابعة عصرًا على المقهى الثقافي في ميدان باب اللوق، لكن قبل ذلك بساعتين كان (د. مريد عز الدين) و(حمزة) وحدهما قد التقيا واجتمعا على أكلة كبده ومخ من المطعم الشهير المجاور للمقهى، فلم ينس (د. مريد) الظروف التى تعرف فيها على (حمزة)، وكيف كانت غامضة وغريبة، ولكنها كشفت إلى أى مدى تتقارب كيميا التفكير بينهما، وكأن كل واحد منهما وجد ضالته في الآخر.

أما (نزار غنيم) الذي لا غنى عنه في غزوات الخوف، فقد اعتذر لـ (د. مريد) في مكالمة هاتفية، وأخبره بأنه خارج البلاد لمهمة تدريبية في الدار البيضاء، حيث يزور وفد صحفى من جريدته، الصحيفة الكبرى فى المغرب في إطار تبادل الخبرات.

اعتذر (نزار) وأغلق المكالمة متنفسًا الصعداء لأنه أفلت من حبال مسارات نون هذه المرة، وطالبهم برباطة الجأش والتماسك والثبات عند المواقف الملتبسة، فما

أجمل وأسهل النصيحة من بعيد، وما أروع التنظير دون ملامسة لأرض الواقع.

ولكن..لم تمر ٢٤ ساعة على قرار نزار باعتذاره لـ (د. مريد) حتى فاجأه عند منتصف الليل ما أجبره على الاتصال الفورى والمباشر بـ (حمزة التاجي) ليخبره بألا جدوى من الفرار.

وصلت (فدوى) للمقهى الثقافي في تمام الرابعة مساءً، وكان لحضورها وطلتها المبهجة وقع مريح لطيف على كل من (حمزة) و(د. مريد)، حيث إن فدوى لا تلتقي بهم بشكل دوري ولا تحرص على محادثتهم كثيرًا إلا وقت حلول مصيبة جديدة - على حد تسميتها - من مصائب ذلك الطريق الأسود الذي سارت فيه رغمًا عنها.

ولكن ذلك لم يمنع دفء اللقاء وابتسامتها الرقيقة، وسلامها الحار على صديقيها

- مريد: انت فين يا بت أنتي ... مش هتبطلي ندالة بقي وزوغان؟!

- فدوى (ضاحكة): هههههههه ليه بس يا دكتور... طب أعمل إيه في طاحونة الشغل؟!

- حمزة: وماله .... هنمشيها شغل يا فدوى

- فدوى: بس يا غتت

- مريد: هههه بس ما تتكريش إن فيها سِنّة طناش بمزاجك

- فدوى: لا والله ..بالعكس ... ده إحنا بقينا كيميا واحدة يا دكتور ... نفس المود ... نفس الإفيهات ...

- حمزة: عمومًا يا ستي المرة دي سهلة

- فدوى: اشمعنى؟!

- حمزة: يعني ... حاسس إننا عدينا بالكلام الفاضي ده قبل كده

- فدوى: إيه الكلام ده يا دكتور؟! ... قولي انت ...أصل الواد ده بيخلط الجد بالهزار ...ومش هافهم منه حاجة

- مريد: أبدًا ... حمزة بيبسطها برضه ..بس الحكاية إننا قررنا نحصر دورك في الصحافة وبس ..يعني لو احتجنا منك نشر ... أو تحريك القضية في اتجاه رأى عام معين.

- فدوى: رأي عام؟! ... رأي عام يبقى مش الصحافة خالص ...دلوقتي الرأى العام ع السوشيال ميديا

- مريد (بمرح): يعني إيه؟ ..يتخلعى منها خالص!!

- فدوى: لا والله باعرفك بس ... لكن معاكم والله... إيه بقي القصة حد يعرفني؟!

- حمزة: بصي يا ستى ... طفل

- فدوى: آآآآه .... تاني؟!

- حمزة: أيواااا علشان كده قلتلك عدينا بيها قبل كده ...

- فدوى: ماله؟! ...اتقتل برضه؟!

- مريد: لأ ... لسه ما اتأكدناش وممكن تبقى الحدوتة كلها فركش على فكرة

- فدوى: طب كفاية ألغاز بقي واحكولي بالتفصيل ... أنا اتحمست الصراحة ... من تجربة برديس أقدر أقولكم إن أشباح الأطفال بتبقى أكثر براءة ...والقصة بتاخد بعد إنسانى لطيف

- حمزة: لاااا ... ماهو القصة مش زي ما انت فاهمة برضه ... احكي لها يا دكتور ع اللي شفته

- مريد: الست العجوزة؟!

- فدوى: ست عجوزة؟!!! .... طيب ... أطلب القهوة الفرنساوي بتاعتي واسمع بقي

وبعد نصف ساعة من حديثهم على المقهى، كان التساؤل الأهم لهم جميعًا هو كيف سيدخلون عالم هذا الطفل، وما هي البوابة التي تمكنهم من التواصل مع أقاربه لفهم ما جرى وما يجري؟!

ولكن حيرة هذه التساؤلات لم تدُم طويلًا، حيث قطع حديثهم رنة تليفون (د. مريد) باتصال من صديقه على الفيسبوك (سيد سليمان) وابن عم (الحاج على)، فقبل أن يرد عليه نظر لـ (حمزة) و(فدوى) قائلًا:

- خلصت ... أول باب لدخولنا اتفتح

ثم رد على الهاتف، وبعد الترحاب ورد التحية ابتسم خلال استماعه ابتسامة الواثق والمتيقن من أن تلك المكالمة ما هى إلا أولى الرسائل الصريحة من العالم الآخر، لتفتح لهم بوابة الدخول، لفهم ما حدث في ساعتين ما بين مكالمة (إيهاب) لأمه حتى وفاته على سريره.

أنهى (د. مريد) المكالمة وقد اتفق على موعد لحضور أسرة (إيهاب) لمستشفى (حياة) ومساعدتهم نفسيًا على الخروج من حالتهم المزرية.

- مريد: مش قلتلكم ..كده نقدر نتأكد رسمى يا حمزة إن دي الهدية الرابعة من عند صاحبتك (جوليا شتايندروف) ... كله يجهز وكله يستعد

- حمزة: خير؟! ... مين اللي كان بيكلمك؟!

- مريد: ده الراجل اللي لسه كنت باكلمكم عنه بتاع الفيسبوك اللي كان ناشر النعى ... الظاهر إنه قريب المتوفى من بعيد... الطعم اللي رميته غمز ...واللي توقعته لاقيته ..بيبلغنى دلوقتي إن أهل المتوفى استووا ..وخلصانين ع الآخر ...ومحتاجين زيارة عندى في المستشفى... واتفقنا ع الإثنين الجاى ...ده هيكون أول خيوط حقيقية نمسكها علشان نعرف إيه الحكاية... ومين الناس دي ... وإيه حكاية الطفل ده

- فدوى: بس استنى يا دكتور ...لو الولد ده مات بشكل غير طبيعى إزاي الطب الشرعي ما قالش كده؟!

- مريد: معاكي حق طبعًا ... وأنا فكّرت فى كده ... هما بيقولوا إنه مات وهو نايم ... معنى كده إن مفيش أثر في جسمه يدل على إنه مات مخنوق أو بأى طريقة تانية.. لكن الراجل اللي بيكلمني ده.. هو نفسه شاكك إن الوفاة مش طبيعية.. أنتوا عارفين قالي إيه في آخر المكالمة؟!

-فدوى: إيه؟!

- مريد: بيقولي يا دكتور ده انت لو شفت حالتهم وعاينتها كويس هتحس إن القصة فيها حاجة مش طبيعية ...ده مش حزن طبيعي ... ولا زعل عادي ...صحيح الواد صغير وكان مالي حياتهم ...بس فيه حاجات غريبة بتحصل محسساني إن الواد مات موتة مش طبيعية.. وعلشان كده كلّمت قريبنا اللي في النيابة علشان يتحرك.

- حمزة: قريبهم في النيابة؟!! ... طب ما حلو ده... أكيد هيوفر علينا كتير ...

- مريد: ممكن طبعًا ..بس خد بالك إنه لغاية دلوقتي مفيش رد فعل منه ... بدليل إن (سيد) ده ما حكاش حاجة عنه ...وأكيد كوكيل نيابة أو محقق مش هيهز طوله وتقرير الوفاة قايل إنها طبيعية .... وعدى على وفاته ٤ أيام أهو

- فدوى: بس لو دخل ولقى أى دليل يخليه يتعامل مع الموضوع على إنه قضية هيفرق أوى معانا ... ومعايا أنا شخصيًا لو عُزت مصدر رسمي ... أما لو طلع الولد مقتول ...ده يبقى خبر الموسم وهيقلب الدنيا!!

- حمزة: آه يا مصلحجية ... عايزة تشتهري على قفا الواد اللي مات ...إخص

- فدوى: أشتهر؟!! .... لسه هاشتهر .... أنا محررة الحوادث الأولى في الجورنال يا بيه

- حمزة: البركة فينا... تنكرى إن انفراد (برديس) هو السبب

- فدوى: لا يا حبيبي مش هو بس ...ده شغل جرايم وحوادث طول السنة

- حمزة: شايف يا دكتور ... إحنا كنا هنموت جوه المدرسة وسط العفاريت ... وهي لولا مديرة المدرسة جاتلها لحد عندها ما كانتش عرفت حاجة ... وفي الآخر تقولك مش (برديس) اللي شهرتني

- مريد: سيبكم بس م الهزار دلوقتي ...وخلونا نركز وحدد المهام... واعملوا حسابكم إن اللعبة بدأت وتوقعوا تقابلوا حاجات غريبة ابتداء من النهارده

- فدوى (بقلق): ربنا يستر!!

كتب البروفيسور الفرنسى (ناثن لوبان) مكتشف مسارات نون فى كتابه الذي لم ينتبه له العالم بما يكفي N Tracks.. Myth or fact (مسارات نون.. حقيقة أم خرافة):

)إن الإنسان لديه طاقات مخزونة كامنة في الأنا الأعلى لا تعمل طيلة حياته ولا يحتاج لها، ولكنها تنطلق وتتشعب وتسير وفق إحداثيات بعد موته وانتقاله للعالم الآخر، وهذا يمكن أن يعطينا مؤشرًا عن أن مسارات N – رغم خطورتها وقوة نفوذها غير المرئى – لها حجم وحدود معينة وليست قادرة على التحرك في كل وقت وفي أى مكان).

رغم أن بحث الدكتور (لوبان) تم نسخه ٤ نسخ عالية الجودة لتظل خلفية معلوماتية ومرجعية ثابتة لفريق مسارات نون، إلا أن اثنين فقط منهم بقيا حريصين على قراءته أكثر من مرة ومراجعته ودراسته، وتذكر جملًا بعينها طوال الوقت وهما (د. مريد) و (حمزة التاجي)، أما (نزار غنيم) و(فدوى عبد الدايم) فاحتفظا به في مكتبة كل منهما دون أن يتصفحا فيه ولو مرة، وهذا ما يفسر تشويش الصورة وعدم ثبوتها كحقيقة علمية لدى كل منهما.

ويعتبر (نزار) أفضل حالًا وإيمانًا من (فدوى) بما حدث لهم من تحول جعلهم مختلفين عن بقية البشر، والسبب في ذلك هو خلفيته الدينية والتي تحرضه باستمرار على الإيمان بالغيبيات وبغير المرئى وغير المشهود.

فكثير مما في كتاب N Tracks.. Fact or Myth يعتبر قريبًا جدًا مما كتبه ابن القيم الجوزية في كتابه الخطير (الروح)، وحكاياته من وحى رؤى الصالحين والأولياء عن حياة البرزخ، وانطلاق الروح فيها وربما تواصلها مع أهل الدنيا الأحياء، الأمر الذى جعل (نزار) يقف على أرض صلبة ويفهم ويتفهم غرابة ما يحدث لهم.

ومن المؤكد أن طاقة تحمّله ومخزون خبراته واستيعابه قد صار كبيرًا بما يكفي ليواجه ما داهمه واقتحم خلوته فاجأه وهو وحده، في غرفته في الفندق مع دقات منتصف ليل القاهرة ولكن بتوقيت المغرب.

استيقظ (حمزة) على صوت هاتفه المحمول وسط سكون ليل غرفته، ليجد المتصل هو (نزار) فرد والدهشة تملؤه، لأنه يعرف جيدًا أنه اعتذر عن التواصل معهم في حكاية الطفل (إيهاب)، وأن لديه ما يشغله من عمل وأجواء احتفالية رسمية فى زيارته للمغرب.

- ألووو

- أيوا يا سيدي ...أنت عايز تفهمني إنك بتنام الساعة ٢

- إيه ده؟!...هي الساعة ٢؟!... والله نمت ما حسيت

- طب فوق والنبي واسمعني كويس؟!

- مالك ياعم ...صوتك مش تمام خالص ...فيه إيه؟!

- ماهو من قرّكم الدكر... طبعًا هتموتوا إن أنا مش معاكم في الحدوتة دي... وقاعد بعيدًا عن الدنيا كلها هنا

- خير بس ... فيه إيه؟!

- إمبارح بالليل كنت راجع خلصان م المؤتمر يدوبك عديت ع المطعم اتعشيت ورحت طالع أوضتي، وعايز أقولك الأوتيل زحمة جدًا وهايص ومش قديم ولا مهجور

- طيب إيه اللي حصل..بعدين؟!

- بعد ما صليت..دخلت السرير يا عم ومضلمها ومشغل التليفزيون على بال ما روح في النوم، وأول ما عيني غفلت ولاقيتني مدروخ

وع الساعة ١٢ بالدقيقة لمحت زي ما يكون حاجة عدت من قدامي خطف كده... طنشت وقلت دي دروخة أحلام... فعيني غفلت تاني لمدة ثواني.. وفتحت على مصيبة

ابتلع (حمزة) ريقه وأجاب متحشرجًا صوته:

- إيه؟!

- ظل حد واقف على باب الحمام

- ظل؟!!..وأنت إزاي مش شايفه؟!

- يعني انت مش عارف الديزاين الاستاندارد بتاع غرف الأوتيلات..وأنا في السرير شايف ظله بس بسبب سبوت النور اللى قدام باب الحمام

- وبعدين؟!

- اتسمرت في مكاني وفقت طبعًا وبقيت باشر عرق... لحد ما قلت دي أكيد حاجة من ريحة مصر..ومن بركاتك انت وعم مريد... فقررت إنى أبادر واستجمع شجاعتي وأقوم

وفجأة بصيت ما لاقيتش حد قدام الحمام فضربت عيني ع الظل ع الأرض ما لاقيتوش... بقيت هاتجنن أكتر..لحد ما حصل اللي حصل...

- حصل إيه؟!.... حصل إيه يا نزار؟!..... نزاااار...أللووو..نزاار

- (بهدوء وصوت أخفض من ذي قبل): أيوه يا حمزة

- انت رحت فين؟!

- معاك..بس مش هاقدر أكملك القصة..مش هينفع أحكي.... واقفل دلوقتي

- نعم يا روح خالتك؟!...أنت بتهزر وبتشتغلني.... ولا جرالك إيه؟!

- اقفل يا حمزة...هافهمك بعدين... أنا راجع مصر بكره الصبح بإذن الله

- نزار!!...فيه إيه يا نزار.... لو عندك مشكلة قول؟!.... نزار.... نزار...أللووو.... أللووو

مما كتبه (ناثن لوبان) حول مسارات الطاقة السوداء فى دراسته أن هناك ما يُسمّى خلف عالمنا المادي المحسوس بالـ (ما ورائيات) وهي التي يختص بدراستها علم النفس الموازي، ذلك العلم الذي يكذبه ولا يعترف به كثير من علماء النفس.

رغم أن تأسيس أول مختبر لعلم النفس الموازي كان في أواخر العشرينيات من القرن العشرين بجامعة ديوك في درهام بكارولاينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية.

كما أشار الفيلسوف الألماني (ماكس ديسوار) الذي يعتبر أول من استخدم مصطلح علم (الباراسيكولوجي) في عام ١٨٨٩، إلى الإدراك خارج الحواس والتحريك النفسي (الروحي) والظواهر والقدرات فوق الحسية الخارقة كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري والاستشفاء والتنويم الإيحائي وتحريك الأشياء... والانتقال عبر الأماكن.

كل هؤلاء بعلمهم وما توصلوا إليه ليس في وسعهم بما كتبوه وألفوه واكتشفوه أن يقفوا جوار (نزار) أو غيره في لحظة كهذه..

ولا يحتاج من هو في مثل هذه المواقف إلى نظريات أو فلسفات بقدر احتياجه للفرار أو إغماءة تنقله من حالة هلعه إلى سكون ما بعد الموقف ولو كان سكونًا مؤرقًا.

ويبدو أن (نزار) قد نسي في سكون وهدوء الفترة الماضية من يكون.. ولعله حاول أن يتناسى دوره الجديد في الحياة الجديدة التي رسمتها له مسارات نون، فأرادت موجاتها القاسية أن تعيده مجددًا إلى حظيرتها ولحلبة الصراع كي لا يعود شخصًا عاديًا لا يألف مواجهة الأشباح الغاضبة، وأرواح الموتى الحائرين.

بعد أن قام من مكانه ولم يجد أحدًا أمام الحمام، التفت نحو السرير لمن يناديه باسمه بصوت الهمس، فوجد من يجلس مكانه في الفراش متدثرًا بالغطاء حتى رقبته، وخلال ثانيتين أو ثلاث استطاع أن يميز ـ من فرط الرهبة ـ أنها سيدة عجوز معصوبة الرأس بمنديل أو طلاحة شعبي.

في ثانية واحدة استرجع (نزار) رصيد خبراته السابقة، ورسخ في مكانه يبادل السيدة العجوز نظرة بنظرة، وقرر أن يكون رد فعل وليس فعلًا، فاستمرت النظرات الثابتة بين الاثنين وسط سكون وصمت مطبق، حتى فتحت العجوز فاها تدريجيًا مصدرةً صوت مواء قطة يتدرج في الارتفاع والعلو، مكشرةً عن أنياب طويلة ليست لبشر.

تراجع (نزار) للخلف وبدأ في قراءة ما يحفظه من أوراد وتحصينات، ودار في خلده عدة تساؤلات..

فلو كان ما يحدث داخل غرفته الآن توابع قادمة من القاهرة ...حيث الجريمة الجديدة المطروحة بين يدي زملائه في فريق البحث، فلماذا تجاوزت مدة الرعب مرحلة التلميح وتوجيه الرسالة، وانتقلت لمرحلة الهجوم والتخويف والمباغتة؟!

ومن تكون هذه السيدة العجوز التى يبدو عليها ملامح وزي الحارة الشعبية؟! ...هل لها علاقة بهذه الجريمة؟!

ليعرف كل ذلك لا بد من سؤال زملائه في الصباح.... صباح؟!!!..أى صباح؟!

وأين هو الصباح؟!!!.... هل ستطلع الشمس عليه ومعه هذه السيدة التى ما تلبث أن تهدأ ثم تزوم كالقطط وهي لا تغادر الفراش؟!

وبعد مرور دقيقة كاملة مرت كعام .... خطر على بال (نزار) فكرة التحدث معها، فبادرها فورًا بسؤال:

- انت مين؟!

لم ترد وظلت صامتة تنظر بعينيها الجاحظتين

- سامعاني؟!.... فاهمة كلامي؟! ..... باقولك انت مين؟! ...وجاية هنا ليه؟!

بدأت السيدة تزوم كالقطط، فوالاها بسؤال آخر وبنبرة انفعال:

- قولي انت مين علشان أقدر أساعدك؟!

فرفعت السيدة صوت مواء القطط عاليًا...

فرجع (نزار) للوراء وهو يتمتم والغيظ يملؤه:

- أعمل لأمها إيه دي .... أحدفها بالريموت يمكن تقوم تجري ورايا ونخلص ولا أعمل إيه؟! ...ما هو أنا مش هافضل كده للصبح!!

نظر (نزار) للساعة فوجدها تجاوزت الـ١٠ دقائق فقط بعد منتصف الليل، فلم يصدق أن كل ما مر من معاناة كان خلال ١٠ دقائق فقط!!

فقرر أن يحرك الراكد ويقتحم مجال هذه السيدة ويقترب منها لعل الموقف يأخذ شكلًا آخر، واستجمع قواه وشجاعته متذكرًا مدرسة قرية الرحمانية وشبح الطفلة (برديس)، وصوت فحيح العجوز (إحسان المانيسترلي) في التليفون.

اقترب (نزار) من السيدة خطوتين وهمّ بالثالثة، ولكن شاشة التليفزيون الموجودة في الغرفة فتحت فجأة صوت وصورة على قناة الأوتيل الترويجية، فكادت تقطع خلفه وتفقده وعيه، فتسمر في مكانه حين تغيرت المحطة وحدها وظلّت تتقلب بين المحطات حتى استقرت الشاشة على صورة فتاة جميلة تتحرك وتتلوى بإثارة، ولكنها أيضًا ذات صبغة شعبية، ترتدي قميص نوم مثير، وتتلوى على السرير فى غرفة تبدو ديكوراتها فقيرة وتوجه نظرات ساخنة للمشاهد.

لم يعبأ (نزار) بها نهائيًا، فليس ذلك موقفًا يمكن فيه الشعور بأي استثارة جنسية، أو حتى لفت الانتباه، ولعلها ضمن قنوات الإغراء المدفوعة، ولكن ما جعله يلتفت كلية لها ويدقق فيها، حينما شاهد رد فعل السيدة العجوز القابعة في فراشه.

لقد انهارت السيدة العجوز، وفتحت فاها مصدرة صوت إنسان عاجز، وبدأت الدموع تملأ عينيها وهي تشير بكف يدها نحو التليفزيون وكأنها تريد أن تقول:

- مش قادرة أشوف ...مش قادرة أتفرج

ظلت العجوز تتشنج وتزداد في بكائها حتى انهارت تمامًا وظلت تصرخ وتتكمش خائفة وتُدخل رأسها داخل الغطاء، و(نزار) عاجز عن مد يد العون لها، من فرط صعوبة المشهد الغريب وغير المعتاد.

نزلت السيدة العجوز بكامل جسمها تحت الغطاء ولم يعد يبد منها شيء، وفورًا أدرك (نزار) بخبرته أن تعريف الغباء هو الذهاب الآن ورفع الغطاء عن هذه السيدة، فثبت في مكانه وظل يحدث نفسه:

- خلصت كده!!..قاعدين للصبح .... ماهو مستحيل أشيل الغطا عن الست دي... اللي أنا أصلًا مش عارف لها إذا كانت ست ولا قطة؟! .... إيه يا رب اللي بيحصل ده .... كان نفسي أبقى بني آدم طبيعي زي كل خلقك يا رب.

جلس (نزار) على أقرب مقعد في الغرفة، وظل ينعى حظه:

- لا وربنا ما هنعيش كده ...هو إحنا حمل الحاجات دي ... إزاي يعني؟! .... إزاي الحياة تستمر بالشكل ده؟!.... ما اللي يموت يموت ...واللي يتقتل يتقتل...رحمتك يا رب!!

قالها (نزار) داخل نفسه وهو ينظر لتلك الفتاة اللعوب التى تواصل فقرة الإثارة على الشاشة، فضحك ضحكة سخرية صامتة كونه مطالبًا بحفظ كل ما يجري وتسجيله ثم عرضه غدًا على أصدقائه فى مصر، إن لم يضطره الأمر لذلك الآن.

فهم (نزار) أيضًا أنه لن ينام، فأمسك بهاتفه المحمول وراح يتصفح فيه مدعيًا ألا بأس وأن الأمور على ما يرام، محاولًا إقناع نفسه بذلك.

وتقبل فكرة استمرار وجود هذه القناة المثيرة على الشاشة كى يضمن بها، ثبات الوضع على ما هو عليه، ولكن ما إن مرت دقيقة حتى خطر على باله فكرة جيدة، حيث قرر ولأول مرة أن يفض الاشتباك بآيات الله.

فتناول (الريموت كونترول) من على الأرض وبحث عن قناة قرآن، حتى وجدها فرفع صوتها، وكانت المفاجأة أن ظلت السيدة العجوز تخبو ويقل حجمها تحت الغطاء ويختفى بروزها حتى لامس الغطاء سطح السرير.

تنفس (نزار) الصعداء ونظر للأعلي وعيناه تذرفان دمعًا، وكأنه يعتذر عما بدر منه ساخطًا، وتيقن من جديد أن الكون لا يزال وسيظل بكل كوابيسه ونواميسه مجرد حبة رمل صغيرة في قبضة بارئه وصانعه.

التقط (نزار) أنفاسه، وأعد لنفسه كوب (نسكافيه) لزوم السهرة التى ستمتد حتى الصباح، وبعد مرور ساعة ونصف قرر الاتصال بـ (حمزة) فى مصر ليخبره بأنه دخل اللعبة التي حاول (التزويغ) منها.

وخلال المكالمة التى كان (نزار) متماسكًا فيها وعلى قدر من الثبات الذي يمكنه من الحكى بالوصف، عاد زوار المسارات السوداء إلى غرفته، فسكت عن الحكى

والسرد، وأخبر (حمزة) أنه لن يستطيع التحدث معه الآن لينهى المكالمة ويتفرغ للضيف الجديد، الذي فاجأه بخروجه من الحمام ثم جلس على السرير متربعًا

فبادره بنفس السؤال السابق:

- آآآآآه وأنت مين بقي انت كمان؟!

فرد بصوت فحيح متهدج صادر من أعماق الجحيم:

- أسمي ..... إيهاااااااااب ..... طاااااارق ..... الهواااااري

الآن... صار الفريق في مرحلة التحرك الإجباري، وهي المرحلة التي يصعب فيها معاندة مسارات نون، وإلا فستقتحم تفاصيل حياتهم وتزورهم في الليل والنهار.

أخبر (نزار) (حمزة) بموعد وصوله، وطلب منه يومًا واحدًا يزور فيه بناته اللاتي اشتاق لهم، فضلًا عن إحساس نما بداخله بضرورة أن يودعهن احتياطيًا وتحسبًا لأي طارئ أو تصعيد في تلك الظاهرة المجنونة التي اختارت الممسوسين بها يومًا ما.

واتفق (د. مريد) مع (حمزة) أن يصاحبه وقت زيارة الأسرة المنكوبة للمستشفى، لعله يستنبط شيئًا ما أو يرى ما لا يراه (مريد)، أو يصل لتفصيلة دقيقة تتماشى مع شخصيته المنقبة والباحثة والدقيقة.

وعلى الجانب الآخر.. وفي شقة الحاج (على عبده) كانت (سمر) تساعد الثلاثة كي يتوجهوا إلى مستشفى الدكتور مريد بسيارة الحاج (سيد سليمان) الذي اعتبر نفسه همزة وصل بين الاثنين.

ركب الثلاثة السيارة وهم في حالة وجوم وصمت، مختلط بقبول للوضع الراهن واستسلام غريب للحزن، حتى (سمر) التي كانت ترمقهم من البلكونة وهم يركبون السيارة اكتست ملامح وجهها بالحيرة وعدم الفهم بعدما لاحظت أشياء غريبة تحدث لا تفسير لها.

هذه الحيرة والدهشة على وجه (سمر) تبدلت لملامح قلق وذعر فور أن دققت النظر في السيارة وهي تغادر الشارع، حين رأت الطفل إيهاب يجلس في الخلف بين أمه وجدته ويلتفت لينظر لها بابتسامة مخيفة غير مأمونة.

وصل الجميع لمستشفى (حياة) وكانت موظفة الاستقبال في أنتظار وصولهم، لتسهل لهم الدخول فورًا لمكتب الدكتور مريد، حيث رحبت بهم بناء على توصية منه، وأجلستهم على طاولة الاجتماعات الملحقة بمكتبه، وسألت الجميع:

- تحبوا تشربوا إيه؟!

لم يرد أي من الثلاثة المصابين بالوجوم، واكتفى الحاج (سيد سليمان) بالرد عليها:

- شوية كده.... تسلم إيديكي...مش قادرين والله

- فأجابت الموظفة: على راحتكم...ثوان والدكتور مريد على وصول

- هو مش هنا؟!

- لأ هنا..بس بيتابع حالة وجاي علطول

على الفور دخل الدكتور مريد ومعه حمزة، وفهم من صمت الثلاثة أنهم أهل الطفل الفقيد، بينما بادره (سيد) بالاحتفاء والسلام والتحية

- كويس برضه يا أستاذ سيد إنك جيت مع الجماعة علشان أفهم منك حاجات كتير، لأن واضح إن الجماعة مش في حالة طيبة..لكن أنا شايف إننا محتاجين ندردش معاهم ونخليهم يتكلموا، وده اللى هيخرجهم من الحالة دي قريب

ظل (د. مريد) و(حمزة) لمدة نصف ساعة يسألان (سيد) عدة أسئلة فهما منها ما حدث، وطبيعة العلاقات الأسرية المحيطة بالطفل كوالده المختفي دائمًا عن الأنظار، وخالته (سمر) المقربة من الأسرة، حتى قرر (د. مريد) ما سيفعله

- طيب يا حاج سيد...إحنا بجد تعبناك معانا...وعايزك تطمئن على الجماعة.. إحنا هنعمل اللازم علشان يخرجوا من اللي هما فيه بأسرع وقت

- ربنا يخليك يا دكتور...ده إحنا بجد اللي تاعبينك والله..بس معلش سؤال بسيط... هو إيه اللي حصل خلاهم ما بيتكلموش، ده أنا علشان أقنعهم وينزلوا ييجوا معايا عملت المستحيل...وهل هيفضلوا كده؟!!

- بص يا حاج سيد... طبعًا انت مستغرب إن دي مش صدمة موت عادية... خاصة إنك شفت عم علي في العزا وكلمته بعدها ما كانش في الحالة دي

- لا خاالص...كان متماسكًا وبيرد وبيتكلم

- تمام... دي بتحصل طبعًا في بعض الحالات النادرة لما الفقيد يبقى غالي عليهم أوي وحد كان له حضور كبير في حياتهم، ومش قادرين يصدقوا إنهم هيكملوا الحياة من غيره...

- أيوا بس (رحمة) هي اللي كانت في الحالة دي لوحدها يا دكتور...ودي أمه... لكن الحاجة (سماح) و(علي) كانوا متزنين شوية وتحس إنهم راضيين بقضاء الله...إيه اللى حصل بعد مكالمة (علي) ليا ده اللي نفسي أعرفه

- عمومًا... مسألة الكلام ده مش أزمة..دي هتتحل قريب بمجرد ما نبدأ معاهم جلسات منفردة من العلاج النفسي، ونساعدهم على إنهم يتكلموا ويخرجوا اللي جواهم... أنا كتبت كل التفاصيل اللى انت حكتهالي عن والد (إيهاب) وطبيعة علاقته بزوجته قبل الطلاق وأسلوب حياته، لأن ورا الراجل ده لغز كبير في تردي حالة (رحمة) النفسية.

أما عم (علي) والحاجة (سماح) فمن الواضح إنهم شافوا حاجة غيرت شعورهم تجاه المشكلة

- شافوا حاجة؟!.... حاجة زي إيه يا دكتور؟!

هنا استدار رأس (رحمة) ببطء ملتفتة نحو (سيد)، فلمح (حمزة) ذلك فتدخل في الحوار:

- هو مش حضرتك يا أستاذ سيد كنت قلت إنك حاسس بشيء غير طبيعي في وفاة (إيهاب) الله يرحمه

- سيد: أيوا صحيح...أنا قلت كده فعلًا للدكتور مريد...ولا زلت شايف إن فيه حاجة مش مظبوطة

بدأت ملامح وجه (رحمة) تتغير من الثبات والسكون إلى التوتر وبدأت أنفاسها تتعالى وتتسارع، فلاحظ الدكتور مريد ذلك فقرر أن يزيد سخونة الحوار مع (سيد)

- د. مريد: طب إيه اللى مخليك يا أستاذ سيد حاسس بكده..ليه ما يكونش نام وتوفى طبيعي وهو نايم

- سيد: ماهو أنا مش هاقدر أتكلم دلوقتي

- حمزة: أفندم؟!...مش فاهم تقصد إيه يا أستاذ سيد؟!

- د. مريد: ليه يا أستاذ سيد... إيه المانع؟!

- سيد: معلش اعفيني يا دكتور

- حمزة (بضحكة خفيفة ساخرة): بقي ده كلام...ده كلام يا حاج سيد...لما بدأنا نخش في المهم تقولي اعفيني... انت كده مش عايز تساعد قرايبك

- سيد (بانفعال): يا دكتور...أنا في الأول وفي الآخر فارق معايا ابن عمي الحاج (علي) ده عشرة عمر ويصعب عليا أشوفه في الموقف ده

- د. مريد: جرى إيه يا حاج سيد.... أنت بتحولها لألغاز ليه...ده انت المدخل الوحيد اللى نقدر نفهم منه حاجات كتير، ده لو يهمك أمرهم... أما إذا كنت شايف إنك لحد كده وعملت اللى عليك فخلاص براحتك...أنا مش هاظغط عليك في الكلام.... لكن أحب أعرفك إن معلومة زي اللي انت مخبيها دي ممكن توضح أمور كتير لو كان (إيهاب) زي ما بتقول اتقتل ما ماتش موتة طبيعية

هنا وفي هذه اللحظة حدث الإعصار الذي توقعه وتعمده (د. مريد)، حين انفجرت (رحمة) في متوالية صرخات مدوية بعدما سمعت كلمة (اتقتل)، وتباعًا دخلت الحاجة (سماح) في حالة رجفة شديدة أشبه بنوبة صرع، وانهار الحاج (على) ولكن بانخراط في البكاء الهستيري.

وبخبرة الطبيب النفسي المخضرم وفي خمس دقائق لا أكثر، احتوى (د.مريد) الموقف فاستدعى الممرضات مشخصًا الثلاث حالات ووجههم حسبما يقتضي الأمر، فأمر باحتجاز كل من (رحمة) و(سماح) في غرف منفصلة بعد إعطائهم حقنة منومة لكل منهما، أما عم (علي) فأبقى عليه في غرفته ولكن سحبه من يده في رفق حتى أوصله ليسترخي على (الشيزلونج) الموجود في مكتبه، وأعد له بنفسه مشروب ساخن مكون من أعشاب طبية أحضرها (مريد) من فرنسا، لها مفعول

سريع في الاسترخاء الشديد، واختار مقطوعة موسيقية ساحرة تَدعى (تلال ألاسكا) لو دارت بجانب بركان ثائر لخمد بعد دقيقة واحدة.

كل هذا وسط ذهول (سيد) وشعوره بالإحراج كونه ألقى قنبلة موقوتة ولم يفصح بموعد انفجارها، فقرر الانسحاب فورًا كي لا يتعرض لمزيد من الضغط مما أسماه فيما بعد تحقيقات أمن الدولة، مستغلًا انشغال الدكتور مريد مع عم علي في ركن الغرفة على الشيزلونج.

- طب يا دكتور حمزة...هأستاذن أنا... وربنا معاكم

- حمزة: أنا مش دكتور يا أستاذ سيد.... الدكتور هناك أهو

- سيد: أومال سيادتك مين؟!

- حمزة (ببرود): أنا صديق الدكتور مريد

- سيد: والنبي إيه؟!....طيب....ربنا يوفقكم..يلزم خدمة مني؟!

- د. مريد: متشكرين يا راجل يا طيب.... رغم إني مش هاسيبك...هاحتاجك تاني أكيد... ولما تروق وتهدى كده... هاسمع منك اللي ما عرفتش تقوله...إلا إذا كنت تقدر دلوقتي!!

- سيد: بص يا دكتور...عايزك تعرف حاجة مهمة... أنا لو اتكلمت هاتكلم لله... علشان صعبان عليا الواد اللي راح فطيس

- حمزة: حلو أوي..ماهو علشان الواد اللي راح فطيس ده بقي..قولنا... جاي لك منين إحساس إنه اتقتل؟!

- سيد: لا مؤاخذة يا أستاذ حمزة... هو الموضوع ده يخصك في إيه؟!

- حمزة: نعم؟!!!

- د. مريد (ضاحكًا): حمزة صديقي ويعتبر المساعد بتاعي يا أستاذ سيد

- سيد: مش مهم بقي... بص يا دكتور...م الآخر...أنا مش هاقدر أقول حاجة دلوقتي مش علشان اللي قاعدين مين..لكن أنا نفسي لسه ما اتأكدتش من شكوكي..ده أنا حتى ما صرحتش بيها لصاحبي وأخويا الحاج علي

- د. مريد: براحتك يا أستاذ سيد... تقدر تتفضل انت ألف شكر ليك... ألا صحيح... قريبك وكيل النيابة ما سألكش عن حاجة أو ساعدك في حاجة؟!

- سيد: إيه ده؟!...هو حضرتك عرفت إزاى إن ليا قريب وكيل نيابة... وإني كلمته في الموضوع ده؟!

- حمزة: مستقل انت بينا يا أستاذ سيد.... بتزعلني والله!!

- د. مريد (مبتسمًا): انت مش كنت عامل (منشن) لقريبك ده ع البوست بتاعك ع الفيسبوك؟!

- سيد: آه صحيح.... طيب يا دكتور...ربنا معاكم...تؤمرني بحاجة

- د. مريد: شكرًا يا أستاذ سيد...وصدقني ثق فيا...لو انت بجد يهمك أمر الولد ده... وإن لو ليه حق يرجع

انصرف (سيد سليمان) وهو غير مصدق أن هذا الرجل مجرد طبيب نفسي يعالج حالة، وسأل نفسه ما سر حماسه لهذه القضية، ولماذا تضاعف حماسه حين شك أن وراء القصة جريمة؟! فأنّى له أن يصدق بوجود ظاهرة غريبة تجتاح المشهد وتجبر هذا الفريق رغم أنوفهم على الانخراط في المشكلة والبحث لها عن حل.

ولكن....

ما هو ذلك السر الذي أخفاه (سيد سليمان) عن المحيطين به بما فيهم ابن عمه وصديقه الحاج علي؟!

ما الأمر الذي جعله دونًا عن كل المحيطين به يشعر أن وفاة (إيهاب) لم تكن طبيعية؟!

داخل غرفة استراحة الممرضات في مستشفى الساحل التعليمي، بدأت جلسة النميمة المعتادة قبل (شيفت) المبيت والسهرة بين الممرضات، وتعالت ضحكاتهم وتوالت نكاتهم، ما بين ممرضات يرتدين ملابسهن بعد نهاية عملهن، وبين أخريات يرتدين (يونيفورم) التمريض استعدادا لاستلام العمل منهن.

هذه الجلسة هي المحببة لديهن، وخلالها يعرفن أخبار بعضهن البعض، وتحلو فيها النميمة والحكايات الشخصية في سهرة المبيت، والتي لم يتغير وضعها جراء حالة الحداد على زميلتهن ورئيستهن في العمل الحاجة (سماح) بعد وفاة حفيدها، فظلت النميمة مستمرة والضحكات متوالية، والمزاح لا ينقطع.

ولا تكتمل جلسة النميمة الطبية هذه إلا بأربع ممرضات، تتباهى كل منهن بحسنها وجمالها، وملابسها الجديدة، ثم تشارك بحكاية أو اثنين ربما من خيالها الواسع عن علاقتها الخاصة بزوجها وبراعته في فراش الزوجية، فتتفنن كل واحدة في تأليف قصص الغرام كيفما يجنح خيالها وتشطح أمانيها.

هؤلاء الأربعة (أميرة).. (سما).. (دعاء)... (مروة)، يعتبرن المحور الرئيسي لقسم التمريض فى مستشفى الساحل التعليمي وفوقهن طبعًا رئيسة القسم الحاجة (سماح) التى لها مع الأربعة صولات وجولات وعيش وملح، تتفاوت بين القرب والبعد حسب الارتياح ودرجة حفظ الأسرار. وتلك الأسس والمسوغات التى تبنى عليها في مصر معظم علاقات النساء في العمل.

بسرعة غير معتادة بدت (مروة) في حالة توتر وعصبية بادية، وهي تبدل ملابسها وترتدي (يونيفورم) الممرضات ذو اللون الأزرق الفاتح، وبانفعال جلست على الكرسي، ثم خلعت حذائها الرياضي وجواربها، ودسّت قدميها في (السابوه) الكلاسيكي المخصص لممرضات المستشفيات.

حتى أن (أميرة) و(دعاء) لاحظت عليها ذلك المزاج غير المعتدل، فراحتا تتهامسان، قبل أن تبادرهما (مروة) بعصبية:

- مروة: باقولك إيه يا حلوة انت وهي ...ما كل واحدة كده تتشطر وتسمعني بتقول إيه .... بدل الودودة اللي مالهاش لازمة دي!!!

- أميرة: مالك يا بت يا مروة ...فيه إيه.... جايه وقالبة وشك م الصبح وقلنا ماشي ... لكن تعملي علينا ريسة ...لا ...إهدي كده وقولي هديت

- مروة: أمييييرة!!! ...اتلمي بجد ...أنا روحي في مناخيري ومش طايقة نفسي!!

- أميرة: ومش طايقة نفسك ليه يا حبيبتي... المزاج مش رايق ليه يا عينيا ... مش قادرة تستحملي اليومين اللي غاياباهم الريسة؟!

- مروة: نعم؟!!..... قصدك إيه يا بت؟!!

- أميرة: بتّ أما تبتك ... مين دي اللي بت؟!

- دعاء: جرى إيه يا بنات... إيه فيه إيه... ده أنتوا صحاب ...إيه اللي جرالكم ... إهدوا كده صوتكم مسمع اللي بره!!

- مروة: مش سامعة بتتكلم إزاي؟! ...وأنا ما كلمتهاش ولا عملتلها حاجة

- أميرة: انت اللي زعّقتي الأول!!

- دعاء: شششششش ...وطّوا صوتكم .... علشان لو الدكتور سمير عدى دلوقتي هيخرب بيتنا كلنا

- مروة: معلش .... ليكي حق .... ماهو كبيرة القسم مش موجودة... لو الريسة هنا كانت جابتلي حقي

- أميرة (بضحكة رقيعة): هههههههههههه غلطتش أنا؟!!

- مروة: شفتي يا دعاء .... أهى بتقل أدبها تاني!!!

- دعاء: فيه إيه يا بت يا أميرة ..... بطلي بقي كلامك ده.... وأنتي يا مروة ...روحي لنبطشيتك دلوقتي واخزي الشيطان وعديها

- مروة: ماشي.... هاعديها المرة دي ..... لكن أقسم بالله يا أميرة ...لو ما اتلميتي هاخليكي تندمي بجد .... علشان أنتي لسه ما تعرفينيش

- أميرة: لا خوفتيني... خوفتيني بجد!!

غادرت (مروة) في غضب شديد جناح استراحة الممرضات المكون من غرفتين واحدة لتبديل الملابس والأخرى بها طاولة وكراسي للجلوس والطعام وسرير للنوم إن لزم الأمر.

- دعاء: انت اتجننتي .... صح؟!

- أميرة: لا ده الجنان بجد اللي لسه هاطلعه عليها

- دعاء: إيه يا بت اللي جرالك ...نسيتي إنكو صحاب... إيه اللى حصل خلاكي مش طايقاها كده

- أميرة: ما أعرفش.... مش طايقاها بقالي فترة كده

- دعاء: ليه بس؟!

- أميرة (تقترب منها لتهمس): بقالي بتاع شهر كده شاكة في حاجة كده مخلياني قرفانة منها..

- دعاء: إيه اللي بتقوليه ده؟!

- أميرة: أنا لسه باشك..مش متأكده

قاطعت (سما) حديثَهما، وهي تغني وتدندن استعدادًا لاستلام النبطشية

- سما: إيه يا بنات.... مالكم مخضوضين كده ليه؟!

- أميرة: مفيش انت إيه اللي جابك بدري

- سما: أنا غلطانة ...جاية بدري علشان أروحك بدري يا حبيبتى ... أبقى غلطانة؟!

- دعاء: ده على أساس إنك تقدري تتأخري دقيقة... يشوفوا غيرك بكره

- سما (ضاحكة): هههههههه آه يا بت يا دعاء ... حد لاقي شغل اليومين دول .... ده الكام ملطوش اللي بناخدهم بييجيوا يسندوا برضه!!

- أميرة: طب اخلصي ...غيري هدومك ...وتعالي أما أسلمك تقارير العيانين الجداد

- دعاء: يا اختاااااي ...هو جه عيانين جداد

- أميرة: آه يا ختي ... اخلصي يالا

كانت الأربع فتيات على درجة من الجمال والإحساس بالأنوثة، وكأن من يختار المتقدمات دائمًا لمهنة التمريض يضع في اعتباره ألا يكن قبيحات أو مذمومات، رغم أن حسنهن من عدمه لا علاقة له بمهنة التمريض

لكن (مروة) كانت مختلفة في جمالها، ولها طابع خاص وأسلوب خاص فى التحدث والمشي والكلام، كونها لم تتزوج بعد وهُنّ متزوجات، فالحسن والجمال (البلدي) كما يُطلِق عليه كتاب الروايات كان متجسدًا فيها، بجسدها الملفوف وشعرها الأسود المتموج، وشفتيها الغليظتين وحاجبيها المرسومين فوق عيون ناعسة تربك نظراتها من يبادلها النظر.

(مروة) فوق ذلك تحب المرح والضحك والدعابات التى لا تتوقف، حتى مع المرضى مما يسهل وضعها في منطقة الاتهام أو الشكوك غير الأخلاقية، فكان غريبًا ومريبًا وغير معتاد أن يراها زميلاتها متقلبة المزاج وعصبية وصامتة لا تتحدث كثيرًا.

إنها الممرضة المدللة لدى الحاجة (سماح) ودائمًا ما تفضلها على غيرها، وكثيرًا ما تتجاوز عن أخطائها في العمل وتأخيرها، مما أثار حفيظة زميلاتها، وجعلها في مرمى التصيد، خاصة أن تلك المكانة لم تكن تحظ بها من قبل، ولكنها بدت واضحة للجميع فجأة ودون مقدمات.

ربما كان تغير طباعها المرحة وعصبيتها المفاجئة بسبب ما ألم برئيستها من فاجعة، فتأثرت لحزنها ولغيابها الذي قد يطول، خاصة أنها كثيرًا ما كانت تردد عبارة لا تروق لزميلاتها خاصة (أميرة) فتقول:

(الريسة سماح دى زى أمى)

كل تلك الأجواء التي باتت مفعمة بالشكوك والقلق والتوتر داخل استراحة الممرضات بمستشفى الساحل، لا تخلو كذلك من الرعب والفزع الذي أضحى متكررًا من نصيب أصحاب نبطشية المساء، حين تنتهي الزيارات في المستشفى، ويغادرها الأطباء، وينام المرضى أو على الأقل يكتمون عذاب الألم في غرفهم، وتقل الحركة ويعلو صوت السكون.

وينتصف الليل...

وحينما ينتصف الليل، تنتاب المقيمون في استراحة الممرضات حالة قشعريرة وهلع تستمر لمدة دقائق معدودة.. جراء ذلك الصوت الذي يفزعهن دون أن يجدوا له تفسيرًا

إنه ذات الصوت الذي سمعه كل من عم علي والحاجة سماح فأفقدهم النطق والقدرة على الكلام، وأدخلهم في نفق مظلم..

فماذا عساه أن يكون ذلك الصوت؟!

صراخ وأنين؟!... أم كلمات منبعثة من أعماق الجحيم؟!

لم يتوقف هاتف (نزار) المحمول عن الرن، وتلقى التهاني والإشادات بذلك المقال الذي كتبه وحظي بإعجاب عدد كبير من القراء، وردود الأفعال والتعليقات والجدل، حتى أن مكتبه امتلأ بزملائه وزميلاته وعلى رأسهم (فدوى) طبعًا لتهنئته.

(نزار) تجاوز مرحلة كتابة التقارير الصحفية ومرمطة التحقيقات، وتخطى ذلك إلى كونه يكتب مقالات رأى ممزوجة بآراء مختصين وأقوال حكماء وفلاسفة ومتصوفين يناقش فيها قضايا اجتماعية نفسية دينية فلسفية، فهذه هي منطقة قراءاته التي يعتبرها ملعبه الذي يصول فيه ويجول.

غادر الزملاء من قسمي الحوادث والتحقيقات مكتب (نزار) بالضحكات والإفيهات والمداعبات، وهو يحييهم ويودعهم مشيرًا في نفس الوقت لـ (فدوى) أن تبقى وحدها وتجلس للحديث معه.

ففهمت بدورها ما يريد (نزار) التحدث فيه، ولكنها (فدوى) التي لن تتغير حيال هذه الظاهرة التي اخترقت منذ سنوات حياتهم وقلبتها رأسًا على عقب.

- خير يا ريس

- اقعدي...رايحة فين؟!

- عندي شغل متلتل وشكلي مش هاروّح النهارده

- فدوى؟!.... ممكن تبطلي استعباط؟!

- أنا؟!.... باستعبط في إيه؟!

- هو انت صحفية وأنا مكوجي مثلًا؟!

- هههههههههههه... اشمعنى؟!

- بتقولي عندك شغل متلتل ومش عارفة هتروّحي ولا لأ... على أساس إني مش عارف الجورنال ماشي إزاي وبالذات القسم بتاعك اللي أنا مشرف عليه هو والتحقيقات باعتباري مدير تحرير

- هههههه لا والله... معايا كذا قصة وكلهم بمحاضر ولسه جايين طازه النهاردة، ولسه هيعدوا ع الديسك وبعدين يتـ...

- عاااارف كل ده...أنا مش عايزك غير ربع ساعة بالكتير...أنا ما بقتش أشوفك ولا بنعرف نتكلم لوحدنا خالص.... ومن ساعة ما جيت م السفر مش عارفين نقعد

- أومال مين اللي جايبك م المطار؟!

- هههههههههههه هتذليني بالتوصيلة؟!

- هههههه خالص بس بافكرك إنك استلمت وداني من ساعة ما نزلت م الطيارة لحد بيتك، ولبشتني بكل اللي حصلك في الأوتيل هناك

- طب إيه؟!.... حاسك مطنشة ومش معانا ع الخط ليه؟!

- يادي الكلمة دي.... أنت اتعديت من الواد حمزة.... هو اللي علطول يقولي الكلمة دي

- آآآه عارفه ماهو غتت

- والله ما مطنشة بس الصراحة أنا مقتنعة بإن المشاكل اللى بتقابلنا دي مش محتاجانا إحنا الأربعة.... مش لازم نمضي يعني إننا شاركنا في حل اللغز...خاصة إن ده مش حاجة سهلة...ده بيبقى على حساب أعصابنا وصحتنا...ولعلمك مش كل مرة تسلم الجرة

- يعني إيه؟!

- يعني انت فاكر إن البلاوى اللي بتحصل لنا وبنشوفها د هتقف عند المستوى ده ومش هتتطور في مرة وتبقى الموجة أعلى من قدراتنا وحد مننا يروح فيها... يا جماعة أنا خسرت حاجات كتير أوي في حياتي، كفاية خطوبتي اللي اتفسخت، وعلاقتي بصاحباتي اللي اتدمرت علشان ما بقيتش عارفة أقعد معاهم.... وكل ده

وباحاول أقنع نفسي إني مختلفة وقوية وكل الكلام المتزوق اللى انت كل مرة بتقوله ليا ده

- فدوى.... اسمعيني كويس...أنا مش هاقولك نفس الكلام بتاع كل مرة..بالعكس انت صح..ومش عارف ليه أنا كمان بدأت أحس إني مش قادر أكمل..يمكن فعلًا مريد وحمزة شبه بعض...الاتنين مجانين خلقة ولاسعين فمش فارقة معاهم.... وأنا وأنت شبه بعض وعندنا حب لممارسة الحياة بشكلها الطبيعي..لكن أرجع وأقول إن اللى حصل ليا وأنا في المغرب حسسني إن الموضوع مش بتاعنا.... بجد مش بإيدينا... إحنا فعلًا وعارف إنك زهقتي من الكلمة دي.... تم اصطفاؤنا..ربنا اخترنا للمهمة دي

- ربنا؟!!!

- آآآآه ربنا... انت أول مرة تسمعي مني الكلام ده يعني؟!

- لأ طبعًا.... ونعم بالله..ماهو ربنا هو اللي بيقدر كل شيء..بس أنا مختلفة معاك في إننا نستسلم لدورنا ده ونقول مفروض علينا.... ونجيبها في أقدار ربنا.... ربنا ما قالناش روحوا موتوا.... يعني م الآخر...إيه اللى هيحصل لو طنشنا يعني؟!

- باقولك إيه..ما تضحكيش على نفسك...أنت عارفة كويس إن انت وأنا حاولنا نعمل ده أكتر من مرة... وفي النهاية بنلاقي نفسنا متورطين وداخلين في اللعبة...

طأطأت رأسها في حزن وشردت وهي تتأمل أظافر يديها غير المطلية، وبدت في عيونها لمعة دموع محبوسة، فأشفق عليها (نزار) وتذكر أنه هو من ورطها وألحقها بهذه الدائرة الملعونة حين رشحها واستعان بها في أولى مهمات مسارات نون.

قام (نزار) من على كرسي مكتبه وراح يجلس أمامها، وفتح علبة حلوى مغربية اشتراها من هناك، ومدها نحوها ثم قال في صوت حنون فيه حنان الأخ الكبير والأب:

- مدى إيدك يالا

- إيه ده؟!

- حلويات غريبة كده..بس جباااارة..دقتها هناك لفتلي دماغي قمت اشتريت منها علبتين... ما تفهميش إذا كانت بقلاوة ولا بسبوسة ولا ملبن...المهم إن طعمها حلو وملياانة م الفزدق الأخضر المبشور ده عارفاه

- (مبتسمة): باحسدك والله يا ريس... عليك روقان وقدرة على تكبير الدماغ والنسيان مريحاك

- ونفسي انت كمان تبقي كده

- إزاي بس

- بصي يا فدوى.... أنت عارفة بجد إنك زي إخواتي البنات وربنا اللي يعلم... ومش عايز أندم أو أحس بالذنب في يوم م الأيام إني ورطتك في اللي بيحصل ده... بس صدقيني فسخ خطوبتك وعدم اندماجك مع صاحباتك مالوش علاقة بالهسهس بتاع مريد وحمزة

- هههههههههههههه هو هسهس فعلًا

- آه والله..مالوش علاقة..ده مقدر ومكتوب عليكي...أنت فسختي خطوبتك علشان ما كانش إنسان مناسب وأنت حكيتي لي عن السبب كويس...أما علاقتك بصحابك فأنت لوحدك المسئولة عن ده... ما تخرجي وتتفسحي وتسافري معاهم...حد يطول..ما أنا قدامك أهو عايش حياتي بالطول والعرض..رغم إن أنا في ناحية وعيالي في ناحية.... وعايش لوحدي بس مبسوط وراضي والحمد لله... وخدى بالك إحنا مش بنتصبح ونتمسى يعني بالعفاريت والميتين... ده بيبقى أوقات معينة ربنا بيحطنا في مسئولية اجتماعية ودينية... وبنفذ إرادة المولى سبحانه وتعالى في البحث عن الحقيقة وإطفاء نار روح متعذبة اتقتلت بدون ذنب.

- مش باقولك هتاكل بعقلي حلاوة في الآخر.... منك لله

- هههههههه قولي بقي.... أنت قريتي مقالي؟!

- لأ طبعًا

- يا جزمة!!!.... بتهزري.... وجاية تباركي لي.... وبالتوفيق يا ريس... ورائع يا ريس... اتعلمتي النصب فين يا بت؟!

- أصل أنا لسه جاية من ساعة... والجورنال على مكتبي ما اتفتحش..قلت أصبح عليك الأول

- طب اقريه عبال ما أطلبلك حاجة تشربيها مع الحلويات الغريبة دي

- لا يا ريس...هاقراه على مكتبي...أنا طلبت النسكافيه بتاعي زمانه برد هناك

- هاجيبلك غيره بس اقعدى واقري علشان هو ده اللى أنا عايزك فيه

فتحت (فدوى) صفحة ١٣ المخصصة للرأى فوجدت عنوان المقال بالبنط العريض:

(مسارات نون...وقتيل بني إسرائيل)

فشهقت من الدهشة واتسعت عيناها ونظرت لـ (نزار) الذي رد عليها بابتسامة باردة وهو يضع قطعة من الحلوى في فمه.

- تزعل مني لو شيلت التكليف وقلتلك إيه الجنان الرسمي ده؟!

- لأ طبعًا ما أزعلش...بالعكس... كده يبقى أنا صح ورد فعلك ده توقعته

- مش فاهمة؟!

- طب إيه اللي خضك؟!

- العنوان.... مسارات نون.... انت أول مرة تكتب عن الظاهرة!!

- طب وإيه المشكلة؟!

- أولًا قابل اللى هيحصلك من الدكتور مريد...أنت ناسي إنه اتفق معانا إننا ما نجيبش سيرة في الصحافة ولا الإعلام عن اللى شفناه وعن الظاهرة دي لأن البحث فيها مش مكتمل ومش هينفع تتعمم لأن الناس هتتهمنا بالنصب والجنون

- وثانيًا؟!

- ثانيًا قدمتها للناس إزاي..قلتلهم إيه؟!... ثم مين قتيل بني إسرائيل ده؟!

- مش عارفة قتيل بني إسرائيل

- لأ

- الحكاية اللى في سورة البقرة...

- مش عارفاها؟!

- آآآآه ده انت أبيض أصلًا يا ماما..... دى قصة عظيمة عن طفل اتقتل غدر علشان الميراث وربنا أحياه ببركة أجزاء من لحم البقرة لما قربوه منه ولمس وشه فقام وحكى كل حاجة حصلت له وشاور على اللي قتله وفضحه قدام الناس كلها

رجعت (فدوى) للوراء مستندة على الكرسي، في وضع الاسترخاء وهي مندهشة، وبدون أدنى تعليق انخرطت في قراءة المقال باهتمام شديد وانجذاب لما فيه.

وبعد أن أنتهت منه، نظرت لـ (نزار) بإعجاب وانبهار شديدين، وقالت له:

- إيديك أبوسها يا مولانا

- هههههههههههههههه يا رب تكون الصورة بالنسبة لك واضحة دلوقتي

- جدًا جدًا.... وحاسة أحاسيس تانية أصلًا... بس معقول...ممكن نبقى فعلًا في موضع نظر ربنا لدرجة إننا نبقى سبب زي البقرة الصفرا دي...وربنا يكشف بينا الحقيقة قدام الناس

- بالظبط... ويرجع الحق لأصحابه... علشان لما أقولك إن دي رسالة تصدقيني

- بس انت كتبتها بمعلمة... وعرفت توصل للقارئ إن حكاية مدرسة قرية الرحمانية والطفلة (برديس) خلقت عند الناس أسطورة خيالية اسمها مسارات نون، لكن الحق رجع لأهل البنت بالتحقيق والبوليس عادي...وربطت ربط عجيب بينها وبين طفل بني إسرائيل

- الله ينور عليكي...وده يجاوبك على سؤالك الأول بخصوص رد فعل الدكتور مريد...لأني عارف إنه هيردحلي طبعًا لو كنت صرحت بكل اللي حصلنا وبطبيعة الظاهرة علميًا، لكن كونها أسطورة قدام القارئ فده عادي

- والربط الرائع بين (برديس) وبين طفل بني إسرائيل كنت تقصده صح؟!

- لا طبعًا

- نعم؟!.... إزاي؟!

- مش برديس المقصودة

- أومال مين؟!

- تسمعي عن الطفل (إيهاب طارق الهواري)

- مش ده اللي....

- هو اللي...

- فهمت...

- تقدري تقومي دلوقتي... للخلف در... وروحي شوفي وراكي إيه... ولما تخلصي تعالي أقولك اتفقت مع حمزة ومريد على إيه

كان بقاء (رحمة) ووالدتها تحت ملاحظة الدكتور (مريد) محاولة للسيطرة على اثنين من أهم المحيطين بالطفل (إيهاب) للوصول إلى حقيقة ما حدث، فأكثر ما كان يخشاه (د. مريد) هو تأخر شفاء الاثنين، وهو ما يفقد القضية أهم بوابات الفهم والوقوف على حقيقة ما جرى خلال الساعات الأخيرة من حياة الطفل، وهل نام بشكل طبيعي ولم يستيقظ أم غادر الحياة بفعل فاعل؟!

أما عم (علي) فيبدو أنه كان أفضل حالًا من زوجته وابنته، واستجاب خلال ساعات بين يدي الدكتور (مريد) لطرق العلاج السلوكي الذي مارسها عليه خلال حديثه معه، لدرجة أنه لم يبق في المستشفى وعاد لبيته بصحبة ابن عمه ورفيقه (سيد سليمان).

أثار (عم علي) شفقة (د. مريد) وهو يستمع إليه وإلى حكاياته حول آخر مرة رأى فيها حفيده واستمع إليه وشم رائحته، حتى ذرفت الدموع من عينيه، ولكن على الجانب الآخر كان ذو القلب الجاحد غير العاطفى (حمزة التاجي) يستمع دون أدنى تعاطف مع الجد الحزين.

- أنت غريب يا أخي.... مش فاهمك بجد يا حمزة... انت إزاى مش مصدقه؟!

- معلش يا دكتور السؤال معكوس انت اللى إزاى مصدقه...لا دماغك ولا طريقة تفكيرك تخليك تاكل من شوية عياط ونهنهة؟

- أنت بتفكر في إيه؟!... إوعى تكون؟!!

- مش بالظبط كده.. ده برده مهما كان جده!!

- لا يا راجل؟!... انت خليت فيها جده!!.... بص يا حمزة مهما كان ذكاء البحث والتفكير مستحيل يخلينا نضرب البديهيات والثوابت

- تقصد إنه مستحيل يعملها علشان جده يعني؟!

- مش هو لوحده اللي مستحيل..ده كل قرايب (إيهاب)... استحالة أي بني آدم منهم يقدم على حاجة زي دي إلا إذا كان بيعاني من فصام عقلي من الدرجة الحادة كمان!!

- طب وليه لأ؟!... إذا كان أمه أصلًا ضحية جوزها وبتعاني من عقد وبلاوي وكبت طول حياتها.. ممكن تكون قتلته من حبها ليه وخوفها عليه...عارف الجرايم اللي من النوعية دي؟!

- حتى لو فيه دافع زي ده مش هتوصل للقتل أبدًا؟!

- عمومًا إحنا محتاجين نسأل كتير عن الناس دي حد يعرفهم ويدينا شهادة حقيقية موضوعية..زي عم سيد ده مثلًا اللي قعد يحنّس فينا بسر ومارضيش يقوله في الآخر!!

- آآآه فكرتني... إحنا لازم ما نسيبش الراجل ده..ونتواصل معاه بسرعة ونعرف كان عايز يقول إيه..خد بالك ده الوحيد في وسطيهم اللي شايف إن إيهاب اتقتل ما ماتش... وعايز يثبت ده بس مش لاقي حد يساعده وفي نفس الوقت ما يعديش على ابن عمه وصاحبه.

- فيه لغز تاني...

- إيه؟!

- الست اللي انت شفتها في أوضة نومك والست اللي طلعت لـ نزار في أوضته برضه هل هما واحد؟..ولو كده مين الست دي؟

- أنت مش رتبت معاهم نتقابل ع الندوة الثقافية النهارده بالليل؟!

- آه... بس يارب فدوى تيجي مع نزار

- اشمعنى؟

- يعني...مزمزأة شوية... ومش مرتاحة للوضع العام كله..وشكلها مش ناوية تكمل المشوار الأغبر ده معانا

- كنت حاسس بكده من ساعة ما نزار اختارها مش عارف ليه..بص إحنا مش لازم نضغط عليها أكتر من كده... أنا رأيي نسيبها لحياتها وشغلها

- جرى إيه يا دكتور...أنت اللى بتقول كده...أنت نسيت إن مسارات نون هي اللي اختارتنا مش إحنا اللي اخترناها..ونسيت إن فدوى كل مرة بتبقى جزء متورط في الموضوع..فاكر البنت صاحبتها اللي كان عندها المرض ده اللي اسمه أأأأ..

- هيستيريا الصورة

- أيواااا بالظبط..دي كانت من طرف صاحبتها...أما برديس فكانت السبب في خبطة صحفية كبيرة اترقت فيها وبقي ليها اسم...عمومًا أنا متفق معاك إننا نسيبها على راحتها هي تختار.... بلاش وجع قلب.

- قارش ملحتها انت دايما كده

- لا والله..بس الصراحة...ما حدش يختار الجنون ويروح له برجليه..ومش هنقدر ننكر إن لا أنا ولا انت ولا حتى نزار وفدوى بنى آدمين طبيعيين

كان حماس كل من (حمزة) و(مريد) قد بدأ يهتز لمجرد إحساسهم بأن (فدوى) تراجع موقفها من الاستمرار في لعبة الخوف.

وفي مدخل الحارة توقف التاكسي الذي يصطحب فيه (سيد سليمان) (عم علي) ونزل الاثنان وسط نظرات وشفقة كل أهل الحارة، حتى أن (طارق الهواري) توجه نحوهما وحفظًا لماء الوجه تظاهر بأنه يطمئن على الأحوال.

فوجه سؤالًا فاترًا لـ (عم على) فنظر له باحتقار ولم يجب عليه، مما أثار غيظ (طارق) وراح يتمتم بصوته الذي يوحي بأنه في حالة سكر لا تنتهي:

- إيه ده... انت بتبصلي كده ليه يا عم أنت؟!...أنت ملبوس؟!

- سيد: معلش يا طارق يا بني... سيبه دلوقتي علشان على آخره ومش ناقص

- طارق: مش ناقص إيه يا عم انت التاني... أنا جيت ناحيته...أنا غلطان إني عايز أطمن عليه... جتكم نيلة عيلة غم

لم يبادله عم (سيد) الرد منعًا للدخول معه في متاهات سوقية لا نهاية لها، وتركه يعوي وحيدًا، واستدار مسندًا عم (علي) في اتجاه القهوة

- عم علي: انت رايح بيا فين يا سيد؟!

- سيد: تعالى نقعد ربعاية كده ع القهوة... تغيير جو بدل ما تطلع تقعد لوحدك...ولا أقولك ما تيجي تبات معايا النهاردة

- ها.... إإإ... يا ريت لو ما يضايقش العيال وأمهم

اندهش (سيد) من سرعة استجابة (على) لطلبه الذي يبدو أنه كان من رائحة المراكبية، ولكنه لم يبد ذلك:

- يا سلام... عيب عليك يا علي ده بيتك ومطرحك

- ربنا يخليك يا سيد... أصل بعيد عنك... أنا مش قادر أخش البيت ده تاني

- ده كلام يا علي...إيه اللى بتقوله ده؟!

- عارف إنه كلام مجانين...لكن والله قفلت من ناحيته ع الآخر...ده أنا كنت هاروح فيها...ويا عالم الحاجة والبت رحمة هيرجعوا ولا لأ

- ياعم فال الله ولا فالك.... بإذن الله كلها يومين ويرجعوا بيتهم بالسلامة... أما البيت فلازم له رقوة محترمة وشوية بخور من بتوع عمك الطوانسي

- لا لا... بخور إيه يا سيد...أنت أصلك ما تعرفش حاجة... ولو عرفت مش هيبقى زي ما تسمع أو تشوف

- إيه ياعم الرعب ده... ما تقعدش تخوف نفسك وتكره نفسك في البيت...ده شيطانك راكب دماغك صح

- مش مصدقني... طب خلينا ع القهوة لحد نص الليل وتعالي نطلع ونقفل علينا الباب فوق وأنت هاتشوف

- هاشوف إيه؟!...إيه اللى هيحصل يعني؟

- ما تستنى تشوف بنفسك... قصدي تسمع بنفسك؟

- الله يجازي شيطانك يا علي...اسمع.... يا عم ده نص الحاجات اللي بتخوف الناس في الدنيا دي عبارة عن أصوات مش معروف مصادرها..يعني ممكن علبة صفيح في المنور تديك صوت يخوفك وما ينيمكش الليل كله

- بس دي مش أصوات... ده صوت واحد بس

- يعني إيه؟!

- يعني إحنا بقالنا ع الحال ده أسبوع بحاله... كل يوم الساعة ١٢ بالليل نسمع الصوت ده..بدون ما يتأخر ثانية واحدة..لدرجة إنى كنت باحط المخدة على راسي ع الساعة ١٢ إلا دقيقة علشان ما اسمعوش وبرضه باسمعه

- أنت بتحكيلي فيلم؟!!!.... ما تقول علطول ده صوت إيه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

قبل أن ينطق (علي) بثوان ويخبر (سيد) بكنه الصوت واصفًا إياه، توقفت الكلمات في فمه فجأة حين تسمرت عيناه على شباك غرفته في الطابق العلوي وثمة من يطل منه بين الشيش الخشب وهو في وضع المواربة.

المؤلم والمفزع ليس في أن البيت موصدًا قبل ذهابهم للمستشفى، ولا يمكن أن يدخله أحد في غيابهم.... لكن المفزع حقًا حين اكتشف (علي) حين دقق النظر من يكون ذلك الناظر من خلف النافذة.

يعني إيه خايفين...أنتوا مش مكسوفين من نفسكم وأنتوا كبار كده تبقوا خايفين في مستشفى طويلة عريضة مليانة ناس وشيفتات صاحية وسهرانة؟!

قالها الدكتور هشام المصري مدير مستشفى الساحل التعليمي وهو يعنف الممرضات الأربعة على شكواهم بحق استراحة التمريض التي صارت مكانًا غير آمن حينما ينتصف الليل، حيث تتدفق من الجدران أصوات غير مفهومة من قبلهن ولكنها تثير الخوف كونها تتكرر كل يوم في نفس الموعد.

- سما: يا دكتور هشام والله العظيم إحنا مش بنبالغ... نفسي حضرتك تقعد معانا لحد الوقت ده وهتسمع بنفسك

- د. هشام: أيوا اللي هي أصوات إيه يعني؟!

- أميرة: أصوات غريبة يا دكتور مش هنقدر نوصفها...إحنا نفسنا ما عرفناش نوصفها لبعض

- د. هشام: طب شبه إيه؟!

- أميرة: تحس إنها أصوات متداخلة مع بعضها.. صريخ طفل...مع ضحكة ست عجوز...مع حد بيتكلم كلام سريع ورا بعضه كأنه بيقرا عربي بالمقلوب

في هذه اللحظة وقف الدكتور (هشام) من على كرسي مكتبه وقد بدا عليه الذعر، فاستغلت (أميرة) بدهائها الفرصة وواصلت الضغط عليه، كي يتحقق مطلبهن في النقل لغرفة أخرى

- أميرة: ووو.... ووو فيه صوت كمان بيظهر من بعيد؟!

- د. هشام: إيه؟!

- أميرة: نونوة قطة...بس تحس إنها بتنازع أو بتموت

ضرب الدكتور هشام على مكتبه بقوة وأشار بإصبعه نحو باب مكتبه وقال بعنف مشوب بتوتر وخوف:

اتفضلوا على شغلكم بدل ما أطردكم من أوضتي...واللي هتيجي تاني وتقول الكلام الفاضي ده من دلوقتي تدور لها على مكان تاني وتقدم لي استقالتها.... إحنا

ناقصين؟!...على أساس إنه فيه أماكن ننقلكم فيها..قال قطة بتنازع قال!!

انصرفت الممرضات الأربعة وخلّفوا الدكتور هشام في حالة قلق داخلي، ولكنها لم تستمر كثيرًا حيث أوعزها إلى أن استراحة الممرضات كانت جزءًا من المخزن القديم في المستشفى واستقطع منه، ولا يزال المخزن قائمًا ويسمح وسط الكراكيب والأسرة المتهالكة والمعدات المكسورة، بمرور القطط وربما الفئران، وهذا وحده كفيل بتقديم سيمفونية رعب لمن لا يدقق في هذه الأصوات.

هكذا قرر مدير المستشفى أن يقنع نفسه بما وراء هذا الصوت، ولم يحاول البحث عن سبب تكراره في نفس الموعد كل يوم.

دخلت الممرضات الأربعة غرفة الاستراحة استعدادًا لتسليم وتسلم الشيفتات والحديث لا ينقطع عن تفسير هذا الصوت، حتى قررت (أميرة) تغيير الموضوع وممارسة عادتها في غيظ واستثارة (مروة)

- أميرة: ألا قوليلي يا مروة؟!... انت ليه عزيتي الريسة في التليفون وما رحتيش معانا البيت يوم العزا

- مروة: ليه السؤال ده أساسًا... ثم انت مالك...أنا حرة!!

- أميرة: انت يا بنتي بقيتي سخيفة ليه وبتزقي ليه في الكلام؟!

- دعاء: لاااا بأقولكم إيه.... نمرة ناقر ونقير دي مش طالباها دلوقتي...ارحمونا بقي!!

- مروة: قوليلها تخليها في نفسها...أنا ما جيتش جنبها ولا عايزه أكلمها أساسًا

- أميرة: خلاص أنا آسفة... أنا كنت باسأل عادي على فكرة... لأن بنفكر نروح لها تاني نطمن عليها في المستشفى...فقلت أشوف هتيجي معانا المرة دي ولا لأ؟!

- مروة (بلهفة): إيه؟!.... مستشفى؟!

- أميرة: آه مستشفى أمراض عصبية ونفسية... حالتها اتدهورت فحجزوها هي وبنتها

- سما: معقول!!..يا ساتر يارب... كان مستخبي لها فين ده كله يا رب

استمر الحديث لدقائق بين الثلاثة إلا (مروة) دخلت في شرود وحدها رمقته (أميرة) بطبيعة الحال، وازداد اندهاشها من ملامح الحزن والأسى والضيق المتزايدة على وجه زميلتها الشاردة.

ما الذي حدث لهذه الفتاة لتنقلب أمور حياتها رأسًا على عقب ويستبدل الأمن بالخوف والبهجة بالحزن والقلق؟!

وكيف لوفاة طفل لا علاقة لها به أن تحدث هذا الفارق في شخصيتها؟!

وما السر وراء ذلك الصوت الذي يعلن عن نفسه مع انتصاف الليل في المستشفى وفي عدة أماكن أخرى كذلك؟!

حاولت (أميرة) الإجابة عن كل هذه التساؤلات وحدها، ولكنها لم تصل لشيء فقررت أن تهادن (مروة) وتتودد لها، ربما أخرجت منها ما يؤكد شكوكها أو ينفيها، لمَ لا وقد كانت يومًا ما صديقتها الحميمة والمقربة إليها.

قررت (أميرة) استغلال هذه الليلة لفك اللغز، حيث إنه اليوم الوحيد في الأسبوع الذي تبيت فيه مع (مروة) في شيفت السهرة، فغادرت الغرفة ولم تعد إليها إلا بعد انصراف (سما) و(دعاء) وفي يدها ٣ قطع من الشيكولاتة الفاخرة التي تحبها وتعشقها (مروة).

فبادرتها بقبلة على خدها، ووضعت الشيكولاتة أمامها على الطاولة في مرح مداعبة إياها:

- أميرة: يالا...مش خسارة فيكي يا بت... شيكولاتة من أم ١٠ جنيهات...مش انت بتحبيها؟!

لأول مرة منذ مدة تبتسم (مروة) بصعوبة وكأنها كانت تنتظر من يربت على كتفيها ويتودد لها مخففًا عنها حملها الثقيل، ولكنها استدارت مدعية أنها لا زالت غاضبة ومعاتبة لصديقتها.

- أميرة: آآآآآه هنسوق فيها بقي ونعمل فيها مهمين... جرى إيه يا بت... يعني مفيش عشم بينا خالص لما اتفك معاكي بكلمتين.... طب ما تزعليش يا ستي.... خلاص بقي... خلاص بدل ما أدلق المية دي في وشك

ضحكت (مروة) وانفتح أول باب موصد في نفسيتها التي باتت مستعدة للبوح، فهي شخصية طيعة وطيبة بطبيعتها وربما جعلها ذلك الأقرب للحاجة (سماح) في العمل وربما خارج العمل.

كانت الشيكولاتة واجترار بعض الذكريات المبهجة بين الاثنين، ومواقفهما الطريفة معًا مقدمة صنعتها (أميرة) بمهارة لدخول عالم أسرارها بحثًا عن الشك الذي يؤرقها وتحتاج لإثباته.

وبعد مرور ساعتين من استلام الشيفت ومتابعة المرضى والاطمئنان عليهم في غرفهم، من طعام ودواء وزيارة وخلافه، استقر الاثنان في غرفة الاستراحة، وأخذت (مروة) وضع الاستعداد للفضفضة لصديقة عمرها والبوح بالسر الذي يؤرقها وينغص حياتها، حيث استجابت لضغط (أميرة) في الحكي والتحدث بدعوى مشاركتها الهم ومساعدتها، فبدأت كلماتها بالانخراط في البكاء الهستيري.

وفور أن وجدت (أميرة) كل هذا الانهيار من (مروة) قبل أن تحكي شيئًا أدركت أن الأمر أخطر بكثير من شكوكها، فعزمت على ألا تترك الليلة تمضي دون أن تعرف ما الذي حدث، وهي تفهم جيدًا طبيعة زميلتها الساذجة نوعًا ما، فجهزت هاتفها المحمول في وضع التسجيل ليحوى كل ما سيقال من أسرار.

مرت ساعتين كاملتين و(مروة) تحكي وتخرج كل ما في جعبتها، ولا يقطع حديثها سوى اضطرار (أميرة) للخروج من الغرفة استجابة لمريض ينادي أو موعد حقنة

نيابة عن زميلتها أيضًا... والموبايل لا يزال يسكن الكلمات والسكنات والأنفاس.

حكت (مروة) ما يحتاج أن يسمعه فريق مسارات نون الرباعي كي يصل إلى حقيقة ما حدث.

ظلت تحكي وتزيد من حيرة وصدمة (أميرة) التى أضحت خائفة تنتظر مرور الوقت بسرعة كي ينقضي الليل وتنتهي السهرة...

توقفت (مروة) عن حكايتها الصادمة في تمام الـ ١١:٥٥ مساء، وغرق الاثنان لمدة خمس دقائق في صمت مطبق وعجز عن الكلام أو الاستطراد أو التعقيب... فما تم حكيه ليس من نوع الكلام الذي يؤخذ فيه ويرد..

ومع تمام الـ ١٢ مساء... حضر الزائر اليومي... وداهمهم الصوت المتكرر كل يوم.. وظل يتردد في أركان الغرفة لمدة دقيقة كاملة..

ولكن هذه المرة لم يهرع سامعوه، ولم ينتفضوا ويغادروا الغرفة كعادتهم، فما أصاب (مروة) من إنهاك من فرط البكاء والكلام، وما أصاب (أميرة) من صدمة، أفقدهما الرغبة في الحركة وتجاوز مستوى خوفهم من صوت بات مألوفًا لدى آذانهم.

مع شروق الشمس تصحو الحارة المصرية، وتتمحور حول بائع الفول وأبخرة براد الشاي في المقهى الذي يفتح أبوابه لاستقبال القادمين من عربة الفول لزوم الحبس وتعمير الرأس في مواجهة يوم شاق يعتاده المواطن المصري الكادح.

وفي الشارع كانت (سمر) كعادتها متجهة لسوق الخضار الذي تذهب إليه مبكرًا بحثًا عن الثمرات الطازجة، وطرح الجناين الذي لا يحزه إلا من أتى مبكرًا.

قبل دخولها باب عمارتها، لمحت (حامد) خطيبها فأشارت إليه أن: تعالى، فنظر لها خلسة وتظاهر بعدم الانتباه، فنادته بصوت عالٍ يلائم نمط وطبيعة المرأة في الحارة الشعبية، وهي متنمرة له:

- أنت ما جيتش أما شاورتلك ليه؟!...لازم أعرف الحارة كلها إني بأناديك؟!

- ما شفتكيش؟!

- ما تستهبلش... انت شايفني كويس... غيرش بس اليومين دول شايفلك شوفة جديدة

- يعني إيه؟!

- شوف انت بقي...أنت فاهمني كويس

- باقولك إيه... أنا لسه ما اصطبحتش ومش فايق لحواراتك وألغازك دى ع الصبح.... فروقي كده وما تقفليش اليوم بدري بدري

- لا والنبي...حلوة دي...خدوهم بالصوت ليغلبوكم

- سمر.... انجزي واخلصي...عايزة إيه؟!

- كنت نازل من عند البت (صباح) إمبارح ليه.... وإوعى تتكر علشان اللي شافوك حلفولي... وكمان شافوك من يومين جايبها من عند أول الشارع شايلها الطلبات...

- يا بنتي حرام عليكي... الست زي أختي... وبعدين هتتجنن على أمها اللي لسه مش لاقياها

- يا حبيبي!!!.... وأنت بقي الصدر الحنين اللي بتطبطب عليها

- أنت ما عندكيش دم؟!.... ما بتحسيش؟!.... باقولك أمها اختفت...مش لاقياها

- عرفنا.... وقلبنا الحارة عليها ومفيش فايدة.... أنت بقي اللى هتجيب الديب من ديله؟!

- لا.... بس الست قصدتني في مصلحة أعملها لها... ودي بنت حتتي برضه يعني لازم أساعدها باللي أقدر عليه

- قصدتك فى إيه بقي إن شاء الله؟!!

- عايزاني أدور على أمها بره الحارة..في شبرا كلها...المستشفيات والأقسام... والجوامع

- طب ما تروح تدور هيا

- علشان عارفة إن تحت إيدي عربيات زباين كتير بيسيبوها بالأيام وممكن اتحرك بيها أسرع

- آآآآآه وطبعا تركب معاك والكلام يحلى والطبطبة والعياط والنحنحة....صح.. مش كده يا سيد الرجالة؟!

لم يتمالك (حامد) نفسه فأمسك وجهها بكف يده بعنف ودفعها قائلًا:

- يا بت اكتمي وغوري بقي بدل ما أكسرلك وشك ع الصبح..قسما بالله لو ما طلعتي دلوقتي لأكون واكلك قلم أبلّعك لسانك اللى عايز قطعه ده..يالا امشي اطلعي باقولك

- (بحنق): ماشي يا حامد...ماشي...وحياة أمي لأوريك

صعدت (سمر) بيتها ويتملكها شعور بالغيظ والحنق لا حد له، خاصة أن (صباح) هي غريمتها القديمة منذ الصغر وطالما يتركها الصبيان من أجلها، فضلًا عن جمالها ورقتها.

ورغم صعوبة احتمال أن يكون هناك إعجاب متبادل بين (حامد) و(صباح) نظرًا لكونها تعمل موظفة في بنك كبير ومن أصحاب المؤهل التعليمي العالي، وهو ميكانيكي سيارات إلا أن الغيرة دبت في قلب (سمر) واستعادت موروث الكراهية القديم معها.

ولكن...

ثمة شيء آخر في مشاعر (سمر) حيال هذا الموقف قد يستنبط ويستشف من رد فعلها وملامح وجهها بعد أن عنفها (حامد)!!

هناك حالة قلق وذعر دفينة تنتابها فور أن تسمع سيرة أم (صباح) وغيابها عن البيت المتزامن مع وفاة (إيهاب الهواري).

دخلت (سمر) بيتها ملقية بالخضار على الأرض في غضب، وارتمت على الأريكة المجاورة للباب وانخرطت في البكاء، ولم يقطع بكاءها إلا صوت رنة التليفون المحمول، فنظرت إليه وهي تبكي لترى من المتصل، فازدادت غيظًا وقررت ألا ترد حينما وجدته (عم علي).

ولكن التليفون عاود الرنّ وكان المتصل (عم علي) أيضًا، فتمتمت في ضيق:

عايز إيه يا عم علي انت راخر؟!

وألقت بالموبايل بعيدًا ولم ترد، وأخذت تفكر في طريقة للانتقام من (حامد) وحرق دمه كما فعل معها، ولكن رنة الهاتف المحمول واتصال (عم علي) قطع تفكيرها للمرة الثالثة، فنفخت في غضب ولم تجد بُدًا من الرد

- أللووو

- أيوا يا بنتي...أنت ما بترديش ليه؟!

- معلش يا عمي... كنت في الحمام؟!

- طب يا بنتي...معلش أزعجتك

- خير يا عم علي فيه حاجة؟!

- آآه يا بنتي...الحقيقة مش عارف أقولهالك إزاى..بس عارف إنك بنت حلال وتعبتي معانا وأكيد مش هتتأخري على مساعدة أختك وأمك اللى مرميين في المستسفى دول

- (بتأفف): خير يا عمي...أؤمرني

- الأمر لله يا بنتي... كنت عايزك تيجي معايا المستشفى

- أنهي مستشفى... مسشتفى المجانين؟!!!

- مجانين إيه بس يا بنتي.... ده كلام برضه؟!

- معلش يا عم علي حقك عليا...ما أقصدش..بس قصدى المستشفى اللى فيها رحمة وأبلة سماح..مظبوط؟!

- أيوا يا بنتي

- ليه؟!...معلش في دى الكلمة يا عم علي.... أنا تحت أمركم في أى حاجة...إلا دي... مش إحنا اتفقنا إني لحد المستشفى دي ومش هاقدر أكون معاكم...حصل ولا لأ؟!

- أيوا حصل يا بنتي...بس اسمعيني الأول وبعدين احكمي

- اتفضل

- دلوقتي الدكتور اللى بيعالج أمك وأختك ده راجل محترم أوي وطيب أوي..وحد فاهم وبيقول إنهم بدأوا يستجيبون للعلاج وأحوالهم بتتحسن...دول رجعوا يتكلموا؟!

- طب الحمد لله... يبقى إيه الداعي إني آجي برضه مش فاهمة!!

- حلمك عليا يا بنتي.... دلوقتي الدكتور مريد ده عايزك انت بالذات

- أنا بالذات؟!...ليه إن شاء الله؟!!

- هو عارف من كلامي أنا وعمك سيد معاه إنك أقرب واحد لرحمة ولسماح كمان... فكان عايز يقعد معاكي يسألك كام سؤال كده

- مش فاهمة برضه إيه الداعي يا عم علي...أنت عارف إن جتتي بتتلبش من المستشفيات دي

- والنبي يا بنتي اعملي معروف..ده بيقول إنك هتساعدى كتير في علاجهم لو قعد معاكي

- مش فاهمة إيه علاقتي أنا بالعلاج ده...هو دكتور ولا نيابة؟!...

- خلاص يا بنتي.... على راحتك

- بص يا عم علي...أنا ما يخلصنيش برضه إني أكسفك أو ما أساعدهومش... شوف...أنا هاقعد معاه..بس بشرط...هو اللى يجيلي هنا...أنا مش هاروح مستشفيات...آه

- ربنا يخليكي يا بنتي...تمام وأنا هابلغه بالكلام ده..وربنا يقدم اللى فيه الخير

لم تكن (سمر) مؤهلة نفسيًا للحديث مع أحد فضلًا عن مجاملته بزيارة لمستشفى أمراض عصبية، وما كان من هذه المكالمة إلا أن زادت من همومها وضغوطها العصبية... والأكثر إثارة للأعصاب حين رن الهاتف للمرة الرابعة بعد ثوان من نهاية المكالمة والمتصل هو (عم علي) أيضًا.

نظرت (سمر) لهاتفها المحمول تريد أن تقذف به بعيدًا، ولكنها قررت أن ترد بنبرة عصبية لتشعر (عم علي) بأنه تجاوز الحدود الطبيعية في التطفل والإزعاج.

- ألووو...خير يا عم علي فيه إيه تاني؟!!

- (بصوت طفل): ازيك يا طنط سوسو

ألقت (سمر) بالموبايل بعيدًا والذعر يملأ كل أطراف جسدها المقشعر من هول ما سمعت، فهي تعرف جيدًا هذا الصوت ولا يمكن أن تنساه، وتعرف صاحبه ومتى وكيف كان يناديها بـ (طنط سوسو)!!

مع تمام الخامسة مساء كان (حمزة) كالعادة أول الفريق وصولاً إلى مقهى الندوة الثقافية في باب اللوق حسب الموعد المتفق عليه، وعلى غير العادة تأخر (د. مريد) فوصل قبله بنصف ساعة كل من (نزار) و(فدوى)

- حمزة: لا.... معقول اللى أنا شايفه ده!!.... فدوى عبد الدايم وبتضحك كمان

- فدوى (بمرح): ماهي غلاستك دى اللى مطفشاني علطول

- نزار: إهدى يا عم حمزة أبوس إيدك..ده أنا ملصمها..وما صدقنا دماغها اتظبطت ع المؤشر

- فدوى: علشان انت ريسي في الشغل بس ما رضيتش أكسفك..لكن ما تاخدوش على كده..أنا ممكن أخلع واسيبكم في أى وقت

- نزار: مفيش مشكلة..وشكرًا يا أستاذة فدوى على تعطفك وتفضلك ده الحقيقة

- حمزة: يا عم سيبها تخلع..طب اخلعي كده وورينا... هي ديتها يوم بليلة... تتلسعي..تيجى على ملا وشك

- الجميع: هههههههههههههههههههههه

- نزار: أومال فين عمنا؟!

- حمزة: مش عارف اتأخر ليه..لسه كنت هاطلبه قبل ما تيجوا

- فدوى: أهو جه أهو... ياريتنا افتكرنا مليون جنيه

سلم الجميع على بعضهم بحرارة، وجلسوا لمدة ساعة كاملة يضحكون ويتذكرون مواقف مضحكة وسط ما مروا به من أهوال، ويتناقشون في موضوعات عامة سياسية ورياضية واجتماعية، حتى أعلن (د. مريد) عن بدء الحديث الجاد، والدخول في المفيد، حين استغل لحظات صمت مرت بها الجلسة:

- د. مريد: طيب..دلوقتي عايزين نتكلم في المهم... أول حاجة محتاجين نعرفها هل فيه حد منكم حصل له حاجة أو شاف حاجة وما حكهاش لينا

- الثلاثة: لأ...لأ

- د. مريد: تاني أى حد حصل له موقف غريب أو سمع صوت كده ولا كده بالليل أو شاف حاجة

- نزار: ما افتكرش يا دكتور... واعتقد كل اللى حصل هو اللى انت شفته الفجر في أوضتك..والقلبان اللى كان في أوضتى في الأوتيل في المغرب

- فدوى (ضاحكة): هههههههههه أنا ما أعرفش انت عايش إزاى بعد اللى حصل لك ده

- نزار: اضحكي...اضحكي...ما انت وحمزة أجازة معفيين من اللبش المرة دى

- فدوى: يا ساتر يا رب... ارحمني بقي... أنا ناقصة

- حمزة: يا عم الحلو أنت... أنا أول فريسة اصطادتها مسارات نون..وشفت اللى يقطع خلفي ليوم الدين

- د. مريد: يا جماعة..شوية تركيز الله يكرمكم.. علشان إحنا من بكره لازم نبدأ التحرك، لأن ببساطة كده واضح إن التون بيعلى وده مش في صالحنا

- حمزة: قصدك إيه؟!

- د. مريد: إحنا بنتكلم عن مشاهداتنا ومسامعنا إحنا... لكن لو ضفنا ليها اللى (عم على) حكاه واللى (رحمة) وأمها (سماح) حكته يبقى إحنا قدام طاقة غضب وصرخة كبيرة وموجة شرسة من العالم الآخر، ممكن تهد الدنيا

- فدوى: آآآه بدأنا الكلام اللى يخوف

- نزار: فهمنا يا دكتور... بس أنا أول مرة أعرف إن أم الطفل وجدته اتكلموا

- د. مريد: لا اتكلموا..فيه تحسن واضح في حالتهم وهكتبلهم على خروج بكره باذن الله.....

- نزار: أيوا حكوا إيه بقي؟!

- دول حكوا بلاوي بس رحمة أمه كلامها كله طبيعي وحكايات عن ملابسات يوم وفاة الطفل وكانت فين ولما رجعت تلقت الخبر إزاى... أما جدته فكلامها هو المهم

- فدوى: مهم؟!..يبقى شافت..شافت إيه بقي؟!

- د. مريد: مبدئيًا أنا شايف إنها بتعاني حاليًا من اضطراب أصيبت بيه تاني يوم الوفاة وأعتقد إن سببه حسب كلامها إحساسها العالي بالذنب إنها سابت إيهاب وخرجت وقت ما مات وندمانة جدًا على كده... وده بقي أدى إلى هلاوس بصرية وسمعية خطيرة أفقدتها القدرة ع الكلام لمدة أسبوع بحاله

- حمزة: هلاوس بصرية وسمعية؟!!...جرى إيه يا دكتور مريد...أنت بتكلم عيانين عندك ولا بتقرا بحث في ندوة؟!

- د. مريد (ضاحكًا): هههههههه اشمعنى؟!

- حمزة: أصل معنى إنك توصف اللى حكته إنه هلاوس بصرية وسمعية يبقى ده مش شغل مسارات نون

- د. مريد: لا طبعًا... ده توصيف الحالة في التقرير اللى كتبته للمستشفى..لكن كل اللى شافته وسمعته رسايل خطيرة جدًا..من روح حفيدها مباشرة

- نزار: رسايل زي إيه بقي؟!

- د. مريد: أولًا كل اللي حكته مشترك بينها وبين جوزها عم علي... غير إنها بتقول وتؤكد إن إيهاب ظهر لها كذا مرة... وعلى وشه وجوم مخيف وملامح بارده ووشه مايل للزرقة..ده غير طبعًا...الصوت اللي بيسمعوه كل ليلة ع الساعة ١٢ بالليل... ده كتر خيرها إنها لسه طبيعية والله الست دي

- فدوى: مستحيل تبقى طبيعية يا دكتور... أنا آسفة طبعًا..مش قصدي إني باتدخل في تخصصك..بس أقصد إنها ممكن تبقى متماسكة فقط..لكن مش هتنفع تاني خلاص

- د. مريد: ده صحيح... كلامك صح..بس الست دى وراها لغز كبير... ولسه ما أفصحتش عنه... لو قالته القضية هتتحل...

- نزار: زى إيه مثلًا؟!

- د. مريد: يعني مثلًا شكلها شافت إيهاب بيحصل له حاجة قبل وفاته وما قدرتش تساعده فحاسّة بالذنب...

- حمزة: أو مهددة بعدم الكلام من اللى قتله!!

- فدوى: أو عملت حاجة غصب عنها فاتسببت في قتله

للحظة صمت الجميع بعد عبارة (فدوى)، وكأن طريقًا جديدًا عكسيًا للتفكير فتح لهم..لِمَ لا يكون قتل إيهاب تم بمعرفة واحد من أهل البيت؟!..فحتى إذا كان من قتله من خارج البيت فثمة من سهل له الدخول على الأقل؟!

- د. مريد: يبقى إحنا محتاجين كده نشك في كل أطراف اللعبة اللى حوالين إيهاب... ومؤقتا نستبعد أباه الحشاش وعم سيد سليمان اللي نشر البوست ع الفيسبوك

- حمزة: ورقة وقلم الله يسترك يا نزار

- نزار: اشمعنى أنا يعني؟!

- حمزة: انت مش صحفي؟!

- نزار: قديم انت أوي على فكرة... مفيش صحفي بيستخدم ورقة يا بصمجي يا ضايع!!

- فدوى: أنا معايا ورقة وقلم في شنطتي

- حمزة: شفت...أنا اللى بصمجي وضايع

أمسكها (د. مريد) ورسم معادلة الاحتمالات المعروفة رياضيًا فوضع دائرة في المنتصف كتب فيها (إيهاب) ثم وضع حوله ٣ أقطاب: الأم رحمة - الجد علي – الجدة سماح.

- حمزة: لأ..لسه!!

- د. مريد: مين تاني؟!

- حمزة: البنت اللى بيقولوا أخت رحمة في الرضاعة...جارتهم دي!

- د. مريد: آآآآه عفارم عليك يا حمزة... صح فاتتني إزاي دي!!

- الجميع: عفاااارم؟!!!

- نزار: عفارم إيه يا دكتور...إحنا قاعدين مع عماد حمدي؟!

- الجميع: هههههههههههههههه

- د. مريد: إيه عفارم دى صحيح... مش عارف جت إزاي...المهم.. البنت دي مهمة جدًا في القضية..ده أنا طلبت أشوفها واتكلم معاها وعم على رد عليا وقالي إنها مش عايزة تيجي المستشفى

- حمزة: أومال عايزة إيه؟!

- د. مريد: عايزة أنا اللى أروح لها..يتقول خايفة من المجانين اللى هناك

- حمزة: فدوى قاعدة مش هاقدر أرد الحقيقة

- فدوى: اتلم بقي!!

- نزار: ماشي وماله..يا جماعة إيه المشكلة..ده خوف مشروع.. مش معناه إنها بتتهرب أو مش عايزة تواجه الدكتور مريد

- د. مريد: بالظبط يا نزار... كلامك مظبوط..وعلشان كده انت اللى هتيجي معايا نقابلها

- نزار: وأنت إزيك يا دكتور؟!

- الجميع: هههههههههههههههههه

- نزار: يعني علشان أنا معاك ع الخط وبالاغيك وفاهمك تقوم تدبسني

- د. مريد: لا والله بس كل واحد دلوقتي هيتكلف بمهمة...أنا عايزك معايا علشان محتاج دماغك وثقافتك الدينية وإحنا رايحين ظاهريا نعزيهم ونساعدهم نفسيًا، أما غرضنا الحقيقي انت عارفه طبعا، والحقيقة رؤيتك لحكاية إيهاب دي عاجباني إن واخدها من منظور طفل بني إسرائيل والبحث عن حقه في مقالتك الرائعة

- نزار: شكرا يا دكتور... ربنا يخليك.. أنا كنت عارف إن المقال ده هيلبسني في الحيط

- حمزة: طب يا دكتور مريد كمّل الرسمة...لازم نحدد بنسبة قد إيه شكوكنا في الأربع أطراف دول

- د. مريد: نسب الشك متساوية في الأربعة كلهم لحد ما ناخد الخطوة اللى أنا مرتب لها، لأننا حسابيًا قررنا فرضية خيالية بدون أي دليل عليها، وهي إن اللى قتل إيهاب حد من قرايبه

- فدوى: هو ممكن كل الاحتمالات دى ما تطلعش صح؟!

- د. مريد: طبعًا... وده الأغلب

- حمزة: لخبطتنا يا دكتور..يعني انت شايف إن اللى قتل إيهاب من بره البيت

- د. مريد: أنا مع الاحتمال ده وشايفه الأقرب للمنطق الطبيعي..لكن مش هنقدر نحدد إلا لما ناخد الخطوة الجاية

- حمزة: طب أنا إيه المطلوب مني؟!

- د. مريد: عم علي... كل حاجة عن عم علي... هو بيقول إنه كان في شغله ساعة الوفاة...عايزك تتشقلب وتروح شغله وتسأل عليه

- فدوى: وأنا يا دكتور؟!

- د. مريد (بابتسامة أخ أكبر): هاااا...معانا آخر كلام؟!

- فدوى (تبلع ريقها): معاكم طبعًا يا دكتور...أنا ليا غيركم

- د. مريد: الحاجة سماح

- فدوى: جدته؟!!... مالها؟!

- د. مريد: نفس تكليف حمزة...هتسألي عليها في المستشفى اللي هي بتشتغل فيها... وده مهم جدا...علشان نفهم نفسية الست دى...ومين اللى ممكن يكون هددها أو منعها من حماية حفيدها

شعر كل فرد في الفريق بمسئوليته، وبحماس غريب يمتزج بحالة من النضج العام في فهم مسارات نون وعدم الاكتراث بطلقاتها وشظاياها.

وقرر الجميع مع شروق شمس الغد أن ينفذوا أولى مهامهم في البحث عن حقيقة ما حدث لطفل فارق الحياة مغدورًا دون ذنب اقترفه

أما المساء فمرّ على كل منهم بهدوء وسلام عدا جبهة (فدوى عبد الدايم) التي اختارها (إيهاب) ليلقي لها بمفتاح خطير لفك كثير من الألغاز وقبل ذهابها لمستشفى الساحل العام مقر عمل الحاجة (سماح) رئيسة التمريض هناك.

دخلت (فدوى) بيتها منهكة مرهقة ذهنيًا وبدنيًا، ومتلهفة لتناول وجبة العشاء الساخنة التي تعدها لها أمها كالعادة، وقررت ألا تفكر في أى شيء يخص ملف (إيهاب) ولا غيره، فقد اكتسبت مهارة تعلمتها مع الوقت، وهي القدرة على تفريغ الرأس مما تفكر فيه، وقطع الطريق على دوائر الأفكار السلبية المتتابعة على الأقل وقت النوم.

تستمتع (فدوى) بذلك الحديث حول التفاهات ومشاكل الجيران بينها وبين أمها، خاصة وهي تتناول طعامها، فهي تستمع فقط وتمضغ طعامها، في الوقت الذي لا تتوقف فيه أمها عن سرد الحكايات عن مشاكل الجيران أو مفارقات برامج التوك شو، أو وصفة جديدة لصنع الكيك بالشيكولاتة، فهي تحتاج لهذا النوع من الحديث الذي يعطي للمخ هدنة من التفكير المحموم حول كل ما يقلق ويثير.

وبعد ساعة ونصف من الحوار الدافئ المتبادل بين الاثنين، بدأت عينا (فدوى) تغربان وتغيبان في عالم اللاوعي، واحتل جسدها قشعريرة النعاس الآمن، تلك التي

لا تنتابنا في هذه الحياة إلا قليلًا، وطفقت تتثاءب وتكرر ذلك وسط حديثها البطيء المنهك.

- طب يا ماما يا حبيبتي..تصبحي على خير بقي أحسن مش قادرة

- يا كلبة اقعدى معايا شوية... ده أنا ما باصدق ترجعي بدري حبة

- معلش يا روح قلبي..والله خلصانة ع الآخر..يكره الخميس وهارجع بدري برضه وممكن نخرج في أي حتة... إن شاء الله نروح سينما ولا حاجة

- ماشي!!...عارفة إنك بتضحكي عليا..لكن ماشي

ضحكت (فدوى) وهي تغوص في حضن أمها الدافئ وتدعو الله ألا يحرمها منه، ثم قامت على الفور متجهة إلى غرفتها ثم سريرها الذي يهدهد أحلامها منذ ساعات.

وما هي إلا دقائق، واختارت أمها النوم كي تتمكن من الاستيقاظ لصلاة الفجر، وقبل انتصاف الليل وتمام الثانية عشرة بنصف ساعة كان السكون في البيت سيد الموقف، والظلام يحتل المشهد إلا من مصباح سهاري صغير في الكوريدور القصير أمام مدخل الحمام.

الساعة الآن.. الحادية عشرة مساء وخمس وأربعون دقيقة...

لا زال صوت الصمت يسود، ولا ساكن يتحرك...

الآن... دقت ساعة منتصف الليل...

ثمة من اخترق حاجز السكون وكأنما مر ظله سريعًا خاطفًا على جدران الكوريدور.

ظل من؟!... هل استيقظ أحدهما من نومه؟!...

من يكون ذلك الظل الخاطف؟!...لعله مرّ من الحمام ودَلَف في إحدى الغرف... إنها غرفة (فدوى).. ألم ترفض السهرة مع أمها؟!.... فلتقضي الآن سهرتها حتى الصباح الباكر مع أحدهم، ولتتجاسر وتتجلد في فهم ما يحمله من رسائل.

كانت (فدوى) تغط في نوم عميق داخل غرفتها المعتمة تمامًا، فهى لا تدخل عالم النوم والمكان به وميض من نور، ربما كان ذلك مريحًا..ولكن ليس دائمًا.

كان حضور ذلك الزائر قويًا لدرجة أنه اخترق عالم نومها وتجسد لها في أحلامها، حيث كان الحلم يسير في وضعه الطبيعي من أحداث متداخلة وبشر كثيرون وضوضاء.

كانت حفلة صاخبة مليئة بالمدعوين من سيدات وسادة، وكانت هي ترمق المشهد من الدور العلوي على رأس السلم، وتتأمل الجميع حتى وقع نظرها على مشهد يحدث في آخر الردهة خلف كل المدعوين، حيث كانت هناك أم تحتضن رضيعها وتلقمه ثديها في منظر لا يتلاءم مع فخامة الحفلة وأناقة المدعوين، فركزت نظرها على تلك السيدة التي ما لبثت أن لمحت تركيز (فدوى) عليها، فبدأ سلوكها في

التغير، حيث أخرجت ثديها من فم الرضيع، وبدأت تهزه لتمهده للنوم ولكن بشكل عنيف ومخيف.

كررت النظر لـ (فدوى)، وتسارعت حركتها في هز الطفل بعنف وقوة، ودون أن تبالي بمن حولها من الواقفين في الحفلة وقفت في مكانها ورمت الطفل على الأريكة بوحشية ثم كررت النظر لفدوى التي انتابها رعب شعرت به هذه السيدة.... هكذا يفهمون دواخلنا في أحلامنا...ويدركون إلى أى مدى ترتعد فرائصنا من نظراتهم ذات الألف معنى!!

أمسكت السيدة بمخدة الأريكة المربعة واقتربت من الطفل ثم وضعتها كاملة وبإحكام على وجهه فراح يصرخ، والمدعوون حولها لا يسمعون ولا يبالون، كانت قدما الطفل الصغيرتان تركلان الهواء وتتحركان بقوة جراء الاختناق، و(فدوى) هى الأخرى تختنق أنفاسها معه، وتصرخ في الناس لإنقاذه من يد هذه السيدة... ولكنه القانون الثابت في الكابوس.... أن تصرخ دون مجيب!!

أخيرًا... سكنت قدما الطفل وانتهى الأمر، وعلى الفور وجهت السيدة نظرها إلى (فدوى) بابتسامة متوحشة وعيون مغرقة في اللون الأحمر، ثم تركت الطفل وبدأت في التحرك نحوها وهي تدفع المدعوين وتصارع الزحام، وتقترب أكثر وأكثر من (فدوى) حتى صارت في آخر السلم والآن تحاول الصعود.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

عودة إلى قانون الكابوس التي يبدأ متداخلًا مشتتًا ثم يفضي إلى الوضوح والبطء ويبدأ جسم النائم في القشعريرة والتعرق والاختناق، كان هذا هو حال (فدوى) داخل منامها وخارجه.

حاولت الهروب والإفلات من تلك المتوحشة الصاعدة على السلم، ولكن قدمها لم تحملها وثقل خطوتها كان معوقًا لها، حتى حانت اللحظة الكابوسية وأدركتها السيدة حين قبضت على أسفل ساقها بكفها الخشن المضرج بالدماء.

إنها ذات اللحظة التي استيقظت فيها (فدوى) هلعة مفزوعة تتنفس بعمق وبصوت عال، دون أن تصرخ استنجادًا بأمها التي اعتادت هذا السيناريو من قبل.

ظلت (فدوى) بقليل من الثبات الظاهري تبسمل وتتعوذ من الشيطان الرجيم وتنظر حولها لكل جوانب الغرفة ثم نظرت في الساعة فوجدتها الثانية عشرة وخمس دقائق، وقبل أن تفكر في القيام وتطأ أقدامها الأرض كانت نظرتها الأخيرة على مكتبها كفيلة بأن تحدد إقامتها وتقعدها دون حراك، فعتمة الغرفة لا تساعدها في تحديد كنه ذلك الشخص الذي يجلس على مكتبها.

ماذا تفعل؟!.... هل تتجاسر وتتجرأ على فتح لمبة الأباجورة فتكتشف خلال ثانية واحدة من ذلك الزائر لغرفتها؟!...إنه لأمر معضل لا يقدر عليه أعتى أبطال روايات ستيفن كينج أو إدجار آلان بو!!

هل تخاطبه وتسأله: انت مين؟!... ذلك أيضًا أمر غير مأمون الجانب فلربما نبرة صوت المجيب وحدها تجعلها تندم طوال عمرها على ما سمعت!!

ما الحل إذن في هذا المضيق الخانق؟!...هنا تمنت (فدوى) لو كانت على تواصل بصديقها (حمزة) لتعرف منه ماذا فعل حينما داهمه جاره القتيل في غرفته ليلً، أو ماذا فعل (نزار) حينما حلت على سريره المرأة القطة وظلت رابضة لا تتحرك.

عشر ثوان مرت كسنين، حتى قررت (فدوى) كسر حاجز الصمت والرهبة واختارت الحل الأول والأصعب حيث ضغطت على زر الأباجورة فتضع نفسها في المواجهة الفورية.

لم تصدق (فدوى) ما رأت، حيث وجدت أمها هي من يجلس على المكتب منكسة الرأس نائمة مرتدية إسدال الصلاة

- ماما؟!!.... ماما!!!.... يا ماما!!

استيقظت الأم مفزوعة، وأجابت:

- هاااا... إيه يا روحي مالك؟!

- مالي؟!.... أنا اللى مالي؟!.... أنت إيه اللى جابك هنا...أنا كنت هاقطع النفس خلاص وروحي هتطلع!!

- بعد الشر عليكي يا حبيبتي...ليه بتقولي كده؟!

- أنت إيه بس اللى جابك هنا؟!

- مفيش... انت طبعًا؟!

- أنا؟!.... أنا إزاى يا ماما؟!

- قمت أشرب بق ميه سمعتك بتتفزعي فجيت جنبك ورقيتك وقلت أصلي جنبك كام ركعة علشان ربنا يصرف الشياطين عنك، فالظاهر راحت عليا نومة

- ماشي يا حبيبتي...ربنا ما يحرمني منك...قومي انت بقي...أنا بخير وكويسة وزي الفل...خلاص بقي اتعودت على كده

- مش عارفة إيه نهاية الكوابيس دى يا بنتي...عمومًا... تصبحي على ألف خير... خلي المصحف جنبك علشان تنامي مرتاحة

- ماشي يا ماما يا حبيبتي

وقبل أن تغادر أمها الغرفة منحتها قبلة دفء وحنان كانت (فدوى) في حاجة إليها، لتتمكن من الثبات أمام تلك اللحظات المقبلة حين لمحت أثناء خروج والدتها أسفل ثوبها ذيلًا مكسوًا بالشعر يتلوى يمينا وشمالًا.

فطنت (فدوى) في لحظة واحدة إلى غرابة ما تبرر به أمها وجودها في الغرفة في هذا التوقيت، فكيف نفذت كل ما حكت في خمس دقائق فقط هي عمر الكابوس الذي اجتاح (فدوى).

وبعيدًا عن حالة العجز التي أصابت صوتها ولسانها عن الصراخ، كانت العبارة التي نطقت بها أمها وهي تخرج من باب الغرفة بصوت ذكوري غليظ ومخيف هي التى أجهزت عليها وجعلت الماء يسيل على فراشها كالأطفال، حيث قالتها بلغة لم تفهمها، ثم غادرت الغرفة دون أن تلتفت التفاتة واحدة.

بالطبع لم تجرؤ (فدوى) على اللحاق بأمها بدعوى أنها أمها التي ولدتها، ولكنها تسمرت في مكانها لدقائق ثم قامت واتجهت نحو المكتب، لتجد عليه ورقة مكتوب عليها عبارة بلغة غريبة وبخط مرتعش ومتقطع:

(همه چيز را براى سرگرمى ارزان در نظر بگيريد)

وبعيدًا عن حالة الخوف الشديد التى انتابت (فدوى) فقد قررت أن تتماسك وتتجلد، وتسهر حتى الصباح في محاولة لترجمة هذه العبارة ومعرفة لغتها، خاصة أنها استشعرت من خلال ما سمعت أنها ذات العبارة التي نطق بها ذلك الكائن المتمثل في أمها.

وأخيرا توصلت من رسم الحروف بعد بحثها على الإنترنت أن تلك العبارة مكتوبة باللغة الفارسية أما معناها فهو ما احتاجت أن تجتمع فيه مع زملائها كي تفهم المراد من هذه الرسالة، حيث تعني تلك العبارة بالفارسية:

(حلت اللعنة على الجميع من أجل متعة رخيصة)

اخترقت شمس الصباح غرفة (حمزة) رغم أنفه بعد أن فتحت والدته الستارة في تحدٍ وغيظ، وظلت تنادي عليه وتوقظه بصوت عالٍ:

- قوم يا ابني.... الساعة بقت ٩ الصبح.... حمزة.... حمزة... طبعًا مش نايم في تربة... إففف علطول أوضتك ريحتها مكمكمة كده..يا بني افتح الشباك حرام عليك خلي هوا ربنا يخش!!!

- يااااااااه يا ماما.... من فضلك ما تفتحيش الشباك..واقفلي الستارة والنبي

- لا... وقوم يالا علشان اتأخرت على شغلك..

- أنا إجازة النهاردة

- إجازة؟!...إجازة ازاى...النهاردة الخميس

- (يحدثها من تحت المخدة): إيه المشكلة يعني؟!.... أنا بلغت الشغل إني إجازة النهاردة

- آآآآه شكلك رجعت تقابل الدكتور المجنون ابن المجانين ده تاني.... صح؟!

- آه يا ماما صح

- يا لهوي.... إحنا مش كنا خلصنا..يا بني شوف حالك بقي وشغلك ومستقبلك خلي واحدة تعبرك وتتنيل تتجوز بقي!!

- ماما...أبوس إيدك ما تفتحيش الإسطوانة دلوقتي.... والنبي والنبي!!

- حاضر...خلاص خلاص...أنا طالعة وسايباك..تنام تقوم..تسيب شغلك خالص انت حر

قبل أن تغادر أمه الغرفة وقعت عيناها على لوحة برتقالية ورقية معلقة على صبورة في غرفة حمزة مطبوع عليها هذه العبارة:

(عندما تفور الحمم الغاضبة في المسارات السوداء فإنها تبحث عن أقرب مخرج تنفجر منه وتحقق من خلاله الروح المغدورة شيئًا من لذة الانتقام..لكنها لا تكف عن البحث بنهم عن فريستها المقصودة)

الإمضاء: ناثن لوبان مكتشف مسارات نون

من كتاب N Tracks.. Myth or fact

(مسارات نون.. حقيقة أم خرافة)

فتمتمت الأم بكلمات من غيظها فحواها أن ابنها فقد عقله بسبب اتباعه للمشعوذ الدجال مريد عز الدين

حاول (حمزة) جاهدًا أن يعود للنوم ولكن كان كما يسمونه (تخاطيفا)، فراح يتقلب يمينًا وشمالًا ولكن دون جدوى، فانتفض من مكانه ولم يجد بدًا من دخول الحمام.

أمسك بهاتفه المحمول الذي اعتاد أن يتصفحه عند استيقاظه في الحمام، وعلى الفور فاجأته (فدوى) بأن تكون أول المصبحين، فرد ببرود وكأنه كان يتوقع اتصالها:

- هاااا حصل لك إيه امبارح؟!

- إيه ده؟!... وعرفت إزاى؟!... هي مش ناقصة لبش!!

- لبش إيه يا بنتي.... المسألة متوقعة وطبيعية جدًا...إحنا بقينا عايشين وسط اللبش... خلاص.. أنا شخصيًا ما بقيتش اتفاجىء

- لا لا.... الله يكون في عونك...مش ممكن... مستحيل

- هو إيه اللى مستحيل؟!

- إنك تتزنق وشبح ينفرد بيك

- هههههههههههههههههههههههههههه

- بتضحك؟!!.... ده كنت هاموت...وريقي ناشف بقالي ٣ ساعات شكلي جالي السكر

- حصل إيه؟!

رغم أن (حمزة) مر بتجربتين مثل هذه من قبل ولكنه اكترث وتأثر بما حكته (فدوى) لسببين مهمين:

الأول: أنه شعر بقوة رياح الغضب والألم التي تحملها موجات مسارات نون هذه المرة، وكم الغل الذي ينتاب روح الطفل القتيل، الأمر الذي أشعره أيضًا بخطورة الانتظار دون تحرك إيجابي نحو القاتل.

الثاني: أن خروج الرسالة من أحد المقربين لعضو من فريق مسارات نون، أمر يستحق الوقوف والتأمل، وينذر بمؤشرات غير إيجابية حول الظاهرة التي بنى أساسها المعرفي على فكرة الانتقاء والتفريق بين من تجنده سلاسل الطاقة المندفعة من العالم الآخر وبين من يقف في مواجهتها.

وبناء عليه فهل تتوحش هذه الطاقة يومًا ما وتصب لعناتها على الجميع دون تفريق فتصبح طاقة تدميرية عشوائية لا انتقائية؟!!

أسئلة دارت في خلد (حمزة) وحده ولم يُفصح عنها لـ (فدوى) أو لغيرها، ورغم أنها أثارت حفيظته ومخاوفه إلا أنها لم تثنه عن مقصده ومخططه في التوجه إلى المصلحة الحكومية التي يعمل بها واختراق جدار لوغارتمات (عم علي).

خصص (حمزة) هذا اليوم وتفرغ له حين طلب من مديره في العمل عطلة، بناء على علم مسبق بأن (عم علي) لم يقرر بعد العودة لعمله ولا يزال في إجازة مرضي منذ وفاة حفيده، واختار (حمزة) حجة مناسبة يتمكن بها من دخول المصلحة

الحكومية والسؤال عن الهدف دون أن يسبب أى ارتياب، حيث ادعى أنه شاب منفصل عن زوجته، ويريد الارتباط بفتاة طيبة فعرف أن هذا الرجل لديه ابنة مطلقة ولديها طفل وجمالها وأخلاقها مثار حديث الناس، فذهب لكي يسأل عن الرجل وسمعته.

فما أبشع ما واجهه (حمزة) من سخافات ولف ودوران في الخروج بمعلومات مفيدة، نتيجة لطبيعة الموظفين العاملين في هذا المكان الذين يعتبرون أن مهمتهم الأولى في الحياة هي تعطيل الناس والتلذذ بمعاناتهم وحيرتهم حتى يتموا مصلحتهم الحكومية ويفلتوا من بين أيديهم.

ورغم أن ٩٩ ٪ من المعلومات التي عرفها (حمزة) هي معروفة سلفًا، أو تافهة لا تهم إلا أنه خرج بالمعلومة الأهم والأخطر من طيات كلام زميله الساعي الذي تشجع وفاض بكثير من الكلام بعد أن حصل على المال مقابل ذلك.

كانت المعلومة التي عرفها (حمزة) كفيلة بأن تحسم التفكير والحيرة لولا أنه أجل الحسم لحصد بقية نتائج زملائه في مقابلاتهم.

لقد علم (حمزة) أن عم علي جد الطفل إيهاب الهواري لم يحضر للمؤسسة الحكومية في اليوم المشئوم، بل إنه طلب فيه إجازة رسمية بحجة أنه سيسافر لقضاء يومين مع أسرته، بخلاف ما ادعاه من أنه كان في دوام عمله وقت أن فارق حفيده الحياة.

أما (فدوى) فكانت على موعد مع الحيلة والخداع هي الأخرى حين قررت دخول مستشفى الساحل التعليمي بحجة إجراء تحقيق صحفي عن التمريض في المستشفيات الحكومية ما له وما عليه.

ولكن مهمتها باءت بالفشل حيث لم تتمكن من الحديث مع أى ممرضة وكان في انتظارها مفاجأة مدوية من العيار الثقيل..

لقد علمت (فدوى) فور وصولها أن إحدى الممرضات والتى تدعى (مروة) أقدمت على الانتحار، حين وجدوها ملقاة على الأرض وبجانبها حقنة هواء فارغة.

كانت حالة الفزع والذعر التي انتابت زملاءها، وحالة الطوارئ التي أحدثتها وجود رجال الشرطة والنيابة في المستشفى كفيلة بأن تجعل (فدوى) في حالة ارتباك وشك وترقب

فهل عليها أن تربط بين انتحار الممرضة (مروة) التي لا تعرفها بقتل الطفل (إيهاب)؟!

كيف ذلك وهي لا تعرف خفايا ما كان بينها وبين زميلتها (أميرة) في تلك الليلة..ليلة الاعتراف الأخير، ولا تعرف كذلك علاقة (مروة) الوطيدة بـ الحاجة (سماح) وأنها الممرضة المدللة لديها...

لكن ذلك لم يمنع ظنونها أن هذا الانتحار قد حدث على خلفية ما جرى لحفيد الحاجة (سماح)، فكانت على شبه يقين بأن هناك رابطًا ما بين الحادثين، وربما كان الخيط بينهما هو بالتأكيد علاقتها بالحاجة (سماح).

قررت (فدوى) أن تنسحب بهدوء من المشهد، فلا جدوى من وجودها وهي لا تعرف أحدًا في المكان، ولم تعد حجتها بعمل تحقيق صحفي ذات فائدة في مثل هذه الأجواء الملتبسة.

لكن مسارات نون تأبى أن تخرج سفيرتها دون أن تعرف شيئًا...

فقبل أن تغادر باب المستشفى لفت انتباهها تلك الممرضة التي تهمس في أذن زميلتها بأنها لن تسكت وأن الفرصة مواتية الآن لظهور الحقيقة وإظهار الدليل الدامغ، فاقتربت بطبيعتها الفضولية، وأمعنت في الاستماع فعزمت ألا تغادر المكان إلا وقد عصرت هذه الممرضة عصرًا لتعرف الحقيقة.

استجمعت (فدوى) جرأتها واخترقت دائرة الممرضات، وقطعت حوارهن

- فدوى: صباح الخير... أنا فدوى عبد الدايم صحفية الأهرام

- أميرة: أهلا بحضرتك... هو حضرتك هنا علشان مروة؟!

- فدوى: مش مروة دي اللي انتحرت؟!

- أميرة: آه

- فدوى: بالظبط... وأنا بصراحة جاية لك مخصوص

- أميرة: جاية لي أنا مخصوص؟!!

- فدوى: آه..يصي ما تقلقيش... أنا مش هاطلب منك تقولي حاجة انت مش عايزة تقوليها..لكن أنا عارفة إنك تعرفي كتير...ومعاكي معلومات مهمة

وبينما يستكمل وكيل النيابة والشرطة تحقيقاتهما، استغلت (أميرة) الفرصة التي سنحت لها لكي يخرج ما معها من دليل للنور، خاصة أن زميلتها التي قد تخشى افتضاح أمرها قد انتحرت، فتوارات هي و(فدوى) في استراحة الممرضات، وبعد أن تأكدت من هويتها طفقت تحكي وتحكي مالا يُصدق، حتى حان وقت الدليل الدامغ، فأخرجت ما في جعبتها من تسجيلات على هاتفها المحمول بصوت (مروة) وهي منهارة تبكي وتعترف وتخرج كل الخبايا والأسرار.

وبعد أن ألقت ما في خزينة أسرارها، طلبت من (فدوى) ألا تفصح عنها أو تضع اسمها في جملة مفيدة

- أميرة: والنبي...وحياة أغلى حاجة عندك يا أستاذة..ما تجيبي سيرتي في أى كتابة أو أى تحقيق...أنا مش عايزة شوشرة وكتر كلام...ده إحنا غلابة وعايشين جنب الحيط

- فدوى: اطمني يا أميرة... ده وعد مني.. بس إذا النيابة طلبت شهادتك... هاحاول أطلب منهم إن إبلاغك يبقى من خلالي مش باستدعاء رسمي من النيابة..فماحدش هيعرف من زمايلك هنا خالص...اطمني..بس الخير اللى بتعمليه..والمشوار اللى بدأتيه لازم تكمليه بشجاعة..حرام..ده حق مظلوم ودم لسه ما بردش

على الفور حددت (فدوى) ماذا عساها أن تفعل وقد صارت الحكاية كلها في مبدأها ومنتهاها بين يديها، وعرفت أنها بصدد رسائل صريحة وواضحة من أرواح معذبة

وبسرعة أدركت (فدوى) أن الوقت يداهمها، ففرضت طبيعة المهنة نفسها وفي ثانية واحدة بادرت بإلقاء نفسها في طريق وكيل النيابة والضابط وهما يركبان السيارة ويستعدان للانصراف قائلة:

- صباح الخير يا فندم...

- أهلا؟!

- أهلا بحضرتك؟!....

- خير؟!

- أنا فدوى عبد الدايم الصحفية في الأهرام

- مفيش حاجة لسه..مفيش معلومات..مفيش اعترافات... بكره تعالي تكون الدنيا بانت

- من فضلك يا فندم... بكره إيه..حضرتك لو اديتني فرصة وسمعتني.. القضية دى مش هتاخد منك يوم وتتحل.. أنا معايا معلومات خطيرة وبالشهود كمان إن لزم الأمر..فاسمحلي آجي مع حضرتك وأحكيلك كل حاجة بالتفصيل.. وما تقلقش حضرتك.. إحنا هنتفق على كل حاجة، موعد النشر وإيه اللى يتقال وإيه اللى ما يتقالش...

- معاكي عربية ولا تيجي معانا؟!

- لأ معايا يا فندم

- طب حصلينا... في انتظارك... نيابة شبرا الخيمة...امشي ورانا!!!

لم يكن اختيار (نزار) لـ (فدوى) اعتباطًا وإنما عن قناعة بقدراتها الخاصة كصحفية ذكية لماحة، فضلًا عن حظها الموفور دائما فقد كان كثيرًا ما يقول لها (نزار): (أنت محظوظة والانفرادات بتترمى تحت رجلك)، وها هى مسارات نون تخدمها للمرة الثانية وتمنحها مكانة خاصة تتصدر بها قائمة صحفيي الحوادث في الجريدة.

ذهبت (فدوى) خلف موكب الشرطة والنيابة، ولكنها لم تستطع دخول غرفة التحقيقات بسهولة حيث تركها وكيل النيابة فترة تصل إلى ساعة كاملة، ثم جاء دورها في الدخول، فأدلت بكل تفاصيل القصة حسبما روتها وأثبتتها (أميرة) بتسجيلاتها.

انتهت النيابة من إعداد تقريرها وتم الاتفاق على عدم النشر مما زاد من غيظ (فدوى) ولكن عزاءها أنها كانت جزءًا من مسارات خروج الحقيقة للنور.

ولم يمنعها أن تتصل بزملائها الثلاثة إلا انقطاع شحن هاتفها المحمول، واضطرارها أن تنتظر لمدة ٤ ساعات في النيابة.

على الجبهة الثالثة والأخيرة كان (د. مريد) و(نزار) يقفان على باب بيت (سمر) ومعهما (عم علي) في انتظار أن تفتح لهم، لكن من فتح الباب كانت (رانيا) بنت جارتها والتي كانت تساعدها في طهو الطعام وتقشير بعض الخضروات

- عم علي: خالتك سمر فين يا رانيا؟!

- رانيا: موجودة جوه

- عم علي: طب قوليلها عم علي ومعاه الدكتور مريد

دخلت (رانيا) لتخبر (سمر) وعادت لتدخلهم وتجلسهم في غرفة الصالون بناء على طلبها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

دخل الثلاثة غرفة الصالون المغطى بالبياضات كعادة البيوت المصرية القديمة، وصوت سكان الحارة والباعة الجائلين يحول دون الاستماع الدقيق والرائق لحوارات الجالسين بين بعضهم البعض، وبمجرد جلوسهم راح (عم علي) خلال دقائق يشرح لهما ويعرفهما بالصور المعلقة في الصالون.

- عم علي: دى صورة أبو سمر الحاج سيد القاضي الله يرحمه.... ودي صورة أمها الحاجة لطيفة الله يرحمها...أما دى بقي فصورة بنتي رحمة وسمر وهما صغيرتان...آه...أصلهم طول عمرهم إخوات...أم سمر رضعت رحمة وهي صغيرة

لم يكمل (عم علي) حديثه حيث دخلت عليهم (سمر) مرحبة ولكن بنبرة جادة تحمل قليلًا من الامتعاض، وبمجرد أن وقف الثلاثة لتحيتها كانت المفاجأة الغريبة.

تسمّر (نزار) وجحظت عيناه وتأخر لثوان في مد يده للسلام على (سمر) مما أثار دهشة (د. مريد) من رد فعله، وبعد أن جلس الجميع وسألتهم (سمر) عما يشربون، قامت لإحضار الشاي.

تبادل (نزار) و(د. مريد) النظرات المريبة، ولكن منعهما من الكلام وجود (عم علي)، فازداد غيظ (د. مريد) ورغبته الملحة في معرفة لماذا تغير وجه (نزار) وامتقع لونه؟!

دقائق وعادت (سمر) وقدمت لهم الشاي، و(نزار) لا يرفع عيناه من عليها وملامح وجهه تحكي ألف معنى، و(د. مريد) يزداد حيرة، حتى (عم علي) نفسه لاحظ نظراتهما المريبة.

- سمر: تحت أمرك يا دكتور...كنت عايز تعرف إيه عن رحمة؟!

- د. مريد: بصي يا أخت سمر...الأول أنا حاسس إن حضرتك متحفظة وقلقانة شوية ...عايزك تعرفي إننا مش جهة تحقيق علشان تبقى قلقانة كده ...إحنا أطباء ... عايزين نساعد أختك والحاجة سماح علشان يخرجوا من حالتهم النفسية اللي تعتبر خطيرة لو اتسابت كده بدون علاج ...والحقيقة العلاج الكيماوي عامل تحسن ولكن مش زي العلاج السلوكي والنفسي اللي أنا عارف ومتأكد إنه هيرجعهم طبيعيين زي الأول

- سمر: شوف يا دكتور... أنا مش زي ما حضرتك بتقول قلقانة أو خايفة... هاخاف من إيه يعني؟!... ولا متضايقة من وجودكم ...بالعكس ...لو فيه حاجة طبعًا أقدر أعملها لخالتي ورحمة مش هتأخر ...اتفضل اسأل براحتك

- د. مريد: أنا حابب أعرف هل رحمة كانت بتعتمد على أى حد في رعاية ابنها

- سمر: يعني ... مش أوي... بس غالبًا إنها كانت بتحب تعمل له كل حاجة بنفسها وأحيأنا بتتخانق مع خالتي وعم على علشان هوبا الله يرحمه

- د. مريد: تتخانق؟! زى إيه طيب تقدري تفتكرى موقف معين؟

- عم على (بتحفظ): لا ما أفتكرش يا دكتور كان فيه حاجة من دى حصلت ... إلا لما كنا نتخانق معاها علشان أبوه يشوفه ...هى الصراحة كانت ما بتحبش يروح لأبوه خالص ...بس ده كان حقه قدام ربنا نعمل إيه بس!!

- سمر: أيوا.. ما أنا أقصد خناقاتها معاكم على زيارة طارق.... بس هو البعيد ماعندوش دم ...ما كانش فارق معاه أساسًا يشوف الواد .... ياعيني عليكي يا بت يا رحمة والله ما شوفتي يوم عدل ...استغفر الله العظيم!!

- - د. مريد: طب إيهاب نفسه كان بيحب جدته قد إيه ... ولا كان مرتبط بأمه بس والباقى عادى؟!

لا زال (نزار) شاردًا يواصل الحملقة في وجه وملامح(سمر) حتى بدأت تنتبه لذلك بين طيات الحديث، وربما حملها ذلك بالفهم الخاطىء على الاعتدال في جلستها وربما الترقيق في كلامها ولا مانع من بعض الضحكات الخفيفة المتعمدة بحرفية وسط الكلام

استمر الحديث بين (د. مريد) و(سمر) حول قصص وحكايات وأمثلة من حياة إيهاب وأمه رحمة وجدته سماح ما يقرب من ساعتين، حتى بدأ (عم على) يشعر بالملل وبألا جدوى من الحديث فهو كلام مكرر يعرفه ويحفظه بل يزيد من أوجاعه وآلامه ويجدد جراحه، فقرر أن ينهى الجلسة

- عم على: طب إيه يا دكتور مريد ...الساعة ٤ أنا شايف إن كده كفاية علشان ورايا معاد مهم والله... ولو حابب (سمر) تبقى تجيلك المستشفى أو نرتب يوم تانى

- سمر: لا يا عم على أنا لا رايحة ولا جاية ... اللي عايز يعرفه الدكتور يعرفه دلوقتي ... مفيش قعدات تانى ...هو أنا عيانة؟!!

- د. مريد: معلش ...أنا سببت لكم إزعاج بما يكفي ...أنا بالنسبة لي خلصت ...لو الدكتور نزار يحب يسأل في حاجة هو حر

- نزار: ها .... إيه؟ .... آه ... هسأل آه ...لا لا مفيش ما إحنا تقريبًا عرفنا كل ما يخص الحالتين من كلام الأستاذة سمر وخلاص

- سمر (بابتسامة خفيفة): ما تسأل يا دكتور... ده حتى انت قاعد ساكت م الصبح بتسمع بس

- د. مريد: مش كده؟!!

- نزار: لا لا ربنا يخليكي ... هو هو ...حضرتك بتشتغلي إيه؟!

- سمر: أنا ...رغم إنه سؤال غريب مالوش علاقة بحالة رحمة وخالتي بس هاجاوبك ...أنا حاليًا قاعدة في البيت ...بس كنت شغالة في حضانة في الزمالك وسيبتها ...وعايشة على معاش أبويا الله يرحمه ومستورة الحمد لله.

- نزار: طب سؤال غريب تانى ...وما تقوليش بتسأله ليه؟!

- سمر: اتفضل!!

- نزار: انت بتحبى القطط ولا بتخافي منها؟!!!

- سمر: نعم يا أخويا؟!

- د. مريد: إيه اللي بتقوله ده يا نزار؟!

- نزار: إيه يا جماعة ...ما أنا قلت م الأول سؤال غريب؟...! بس لو مش عايزة تجاوبي براحتك!!

أثار السؤال استغراب (د. مريد) وظن أن (نزار) يريد مجرد الإدلاء بدلوه، ولكن ثمة ارتباك بدا واضحًا على(سمر) من السؤال الذي اندهشت منه ولم تتوقعه، ولم يخف على(نزار) ما لاحظه من ارتباكها في الإجابة وإمساكها بمعصمها وتدليكه وهي تتحدث، حتى لمح (نزار) بقايا جرح في المكان الذي تُحسس عليه بكفها فوق الرسغ مباشرة وكأنه أثر لمخالب قط!!

انتهت الجلسة وخرج الثلاثة من بيت (سمر)، وعند سيارة (د. مريد) سلم الاثنان على (عم على) ووعداه بأن حالة ابنته وزوجته ستتحسن في أقرب وقت، وقبل أن يركب (د. مريد) سيارته نادى مجددًا على (عم علي) وكأنه تذكر شيئًا، فاقترب منه ليسأله:

- عم على معلش ... أنا آسف مش فضول مني والله ...هو المعاد المهم اللي انت رايحه هتقابل فيه عم سيد سليمان؟!

- عم على (باستغراب وضيق): لأ ...بس ليه بتسأل؟!

- لا والله مش لحاجة ...أصلي كنت محتاج أشوف عم سيد وأقعد معاه

- هو كمان؟ ....!! ليه يا دكتور...هو سيد إيه علاقته بحالة رحمة ومراتي؟!

- لأ له طبعًا ... انت ناسي إنه هو اللى جابكم المستشفى وهو اللي أنا عرفت منه المشكلة من ع الفيسبوك وهو همزة الوصل بيني وبينكم ...إيه يا عم على مالك ... وليه مرة واحدة كده بقيت قلقان مني؟!

- مش قلقان ولا حاجة ... كل الحكاية إني بدأت أخاف على الجماعة ومش حاسس إن فيه تحسن.. بل بالعكس شايف إن القعدة بتاعة النهاردة ولا ليها لازمة ودلوقتي بتقولي عايز تشوف سيد... أنتوا دكاترة ولا بوليس؟!

- مش عايزك تقلق ...على مراتك وبنتك لأن بداية الكلام ده في حد ذاته تحسن ... الصدمة عند الاثنين شديدة جدًا... ورحمة ممكن حالتها تتأخر عن كده كمان علشان كده لازم نفهم بالظبط إيه اللي حصل يوميها

- يوم إيه يا دكتور؟ ...! اسمعني كويس يا دكتور ...أنا حاسس وفاهم من كلامك وكلام سيد أنتوا بتفكروا إزاى .... وبصراحة التفكير ده لو وصل لرحمة وأمها

ممكن يروحوا فيها ... ليه عايزين تطلعوا إن إيهاب الله يرحمه اتقتل ما ماتش موتة طبيعية .... ليه؟!

- نزار: لأنه اتقتل يا عم علي

أصاب ما قاله (نزار) (عم علي) بالوجوم والصمت، مما جعله لا يجيب ويدعى أنه متحفظ على طريقة الكلام فأستاذن في أدب ثم ولاهم ظهره وانصرف

- نزار: شوفت بيعمل إيه؟!.... شوفت... مليون في المية الراجل ده وراه بلاوي ... شوفت لما واجهناه بالحقيقة انسحب إزاى؟!

- د. مريد: رد فعله غريب جدًا .... وبعد اللي بلغنا بيه حمزة من إنه كان أجازة في اليوم ده بدأت أشك فيه أكتر

- وماله كان غريب ليه وإحنا فوق كده ...خدت بالك؟!

- هو اللي كان غريب .... ده انت خلتنى مش مركز برد فعلك أول ما شفت الست دي ...إيه؟ ... للدرجة دي تعبت ...هى حلوة شوية ونغشة شويتين... بس إحنا فى إيه ولا فى إيه؟.... ده أنا ما بقيتش عارف أضحك ولا أسألك ولا أعمل إيه؟!

- جرى إيه يا دكتور.... أنا صحيح عايش لوحدي ومطلق ... بس مش واقع للدرجة دي ...وبعدين مش وقته خالص الأفكار دي

- ما أنا قلت كده برضه ...طب إيه؟ ... انت تعرفها؟!

- حاجة زى كده .... بص ...أنا للوهلة الأولى قلت لنفسي شوفتها قبل كده.... بس مع الوقت اكتشفت إني فعلًا شوفتها قبل كده وقضيت معاها سهرة كمان

- نعم؟!! .... سهرة؟!!

- آه سهرة من بتوعنا .... سهرة من سهرات نون .... فاكر الليلة اللي قضيتها في الأوتيل .... فاكر الست اللي كانت في التليفزيون؟!

- ما تقولش؟...! هي؟!

- هي بعينها!!

- معقول .... بس إزاي؟!...ده انت قلت إنها كانت قناة مش مظبوطة... شمال يعني؟!

- أيوا هى كده فعلًا .... والغريب إن سمر دى كانت هى اللي عمالة تعرض نفسها .... بس ما كانتش من غير هدوم الصراحة ...كانت لابسة بس كانت عاملة جو إغراء جامد ...وظهورها ...مجرد ظهورها كان عامل حالة خوف واستنفار رهيب للست العجوزة اللى كانت عمالة تتونو زى القطط ع السرير .... ما تفكرنيش ...كان حتة يوم!!

- يعني إيه؟!.... الست دي بتشتغل في قناة من القنوات دي فعلًا؟!

- لأ طبعًا... الحالة الفيزيائية اللي كان فيها المكان كله والطاقة المحيطة بيه خلت كل شيء مش طبيعي ..يعني لا كان فيه في الواقع ست بتنونو زي القطة ولا فيه قناة ولا سمر دي بتشتغل كده أساسًا ... أنا اللي هاقولك برضه؟!

- آه صحيح ... دى بتبقي أشعة فوق بنفسجية غير مرئية بس أزيد من الموجة القصوى وأعلى من كل المعدلات الطبيعية وده المسار الفيزيائي اللي بتستغله الأرواح دي علشان تنتقل بيه من العالم الآخر وتوصل رسايلها

- طب اهدي بس.... ما تتعبش نفسك وتشرح كلام علمي ...أنت بتكلم واحد اتلسع ومجرب.....وفر الكلام ده للصحافة لما نحتاج نقنعهم في يوم من الأيام بالغم اللي إحنا فيه ده ...المهم سمر مؤكدًا ليها علاقة بالست العجوزة... ولازم نعرف بسرعة مين الست العجوزة دي

- الحكاية اتعقدت أوي ... أنا رأيي نركز مع عم علي اللي بدأ يبقى مريب ... ونسيبنا الفرعيات اللي هنتوهنا دي.... ألا صحيح ... فين فدوى؟!.... ما اتصلتش بيك؟!

- لأ ...ولا أعرف راحت المستشفى ولا لأ أساسًا!!

- كنت حاسس إنها ممكن تطنش ..بص يا نزار ...عايزك تسيبك منها وتخليها على راحتها ... بلاش نغصبها على حاجة...البنت دى ممكن تحملنا مسئولية أى خراب في حياتها.

قطع كلامهما رنة تليفون (د. مريد) الذي اندهش من المتصل

- إيه ده .... بسم الله الرحمن الرحيم ...دي فدوى!! .... أللووو

- أيوا يا دكتور .... إزيك

- الحمد لله ...أنت فين يا بنتي ... تليفونك مقفول م الصبح

- يا ساتر ...ده عذبني ... شحنه خلص من كتر التسجيل الصوتي والتصوير وبقيت هاموت وأرجع الجورنال وأكلمكم

- خير؟!

- خلاص .... الحدوتة كلها عندى .... كالعادة ...ما يجيبها إلا فدوى

- لأ ... بتهزري .... ده أنا افتكرتك طنشتي أساسًا ...يرافو عليكي يا فدوى ...إحكيلي بسرعة

- لاااا .... أنا هاكتب الشغل الأول ...ده انفراد يا دكتور .... وبعدين نتقابل كلنا الساعة ٨ ع الندوة بإذن الله ... لازم نبقى أسرع من حركة النيابة والبوليس ...كل حاجة هتبان خلال ساعة واحدة من دلوقتي...مجدي بيه مش هيستنى

- تمام .... هايل ... طب هو سؤال واحد؟! ...الواد اتقتل ولا مات؟!

- إيهاب اتقتل مع سبق الإصرار والترصد... دي عصابة ...عصابة يا دكتور .... نص ساعة وهتلاقى البوليس عندك في الحارة

من الأسرع خلال الساعات القادمة في الوصول للقاتل ومن ثم الفتك به ... أهي مسارات نون الغاضبة وروح الجاني التي تصرخ وتئن؟! ...أم المسارات الطبيعية المتمثلة في النيابة والتحقيقات والشرطة؟!!

أصدر مجدي الحناوي وكيل نيابة قسم أول شبرا الخيمة بالقليوبية قرارًا بضبط وإحضار كل من سمر سيد القاضي – سماح حسن عبد المهيمن - علي عبده الجمال – طارق عبد الحميد الهواري – صباح محمد فرجاني – د. مريد أحمد عز الدين – سيد سليمان عبد الحافظ – رحمة علي عبده، للتحقيق معهم وسماع أقوالهم.

لم يندهش الدكتور مريد ولا فريق مسارات نون من استدعائه للتحقيق، لمَ لا وهو الطبيب النفسي المشرف على علاج الحاجة سماح وابنتها، وربما تؤكد شهادته أو تنفي شيئًا من تسجيلات واعترافات الممرضة (مروة الطوبجي) التي انتحرت بعد أن علمت بإصرار زميلتها (أميرة) على فضحها وكشف الحقيقة أمام الناس.

أما بقية السبعة الآخرين الذين استدعتهم النيابة فقد تبين أن طارق الهواري قد غادر البلاد إلى اليونان منذ ٥ أيام، وتم مثول كل من رحمة علي وسيد سليمان وسمر القاضي وعلي عبده الجمال وصباح فرجاني في سراي النيابة.

أما (سماح) فرغم أن الدكتور مريد أوصى بالانتظار وإمهالها لأن حالتها النفسية لا تسمح بالتحقيق معها إلا أن النيابة أصرت وتمكنت من الوصول إليها في المستشفى، ولكنها فشلت في إحضارها حين وصلت الشرطة في الوقت الضائع، وتجمهرت مع العاملين في المستشفى حول غرفتها وهم يشاهدونها ملقاة على الأرض والدماء تسيل من شرايين معصمها.

وبشهادة الممرضات تبين أنها دخلت منذ ٤٨ ساعة متواصلة في حالة هياج عصبي وهيستيريا غريبة وظلت تردد: ابعد عني...ابعد عني... ورغم خضوعها لجلسات كهربائية وعقاقير مهدئة، إلا أنها خلال هذه الساعات تغيرت ملامحها في زمن يسير حيث تساقطت معظم خصلات شعرها، وبعض أسنانها من فرط الضغط العصبي والرهبة التي تعرضت لها.

ثم ادعت الهدوء والثبات بعد واحدة من الحقن المهدئة لتسجل الكاميرات في تمام الساعة الثانية عشرة مساء اضطرابها وفزعها من سماع صوت غريب كانت تحاول سد أذنيها عن سماعه ثم أمسكت بزجاجة دواء وكسرت طرفها وقطع شريان معصمها.

وبعد تفريغ الكاميرات ومشاهدة واستماع النيابة لهذا الفيديو، لم تفلح محاولاتهم في فهم الصوت الذي كان يتردد في الغرفة مع تمام الثانية عشرة مساء، وتم وصفه في تقرير النيابة بأنه أنين طفل مع مزيج من صرخات نسائية ومواء قطة وعبارات تتلى بسرعة كما لو كانت كلماتها تقرأ بالمقلوب.

وأخيرًا...وليس آخرًا... صدر تقرير النيابة النهائي

حيث أسفرت التحقيقات المتواصلة والتي استمرت يومين كاملين، عن الافراج عن كل من استدعتهم النيابة، وتم التحفظ على (سمر) وحدها والقبض عليها وتوجيه لها

تهمة قتل الطفل (إيهاب طارق الهواري ١١ سنة) مع سبق الإصرار والترصد بالاشتراك مع كل من (سماح عبد المهيمن) و (مروة الطوبجي)

وتوجيه لها تهمة ثانية بقتل السيدة (شريفة حسانين السيد ٧٥ سنة) مع سبق الإصرار والترصد بتعذيبها وضربها حتى الموت.

انتهت تحقيقات النيابة باعتراف (سمر) بكل هذه التهم بعد أن نفتها في البداية قبل أن تنهار جراء سماع صوت تسجيلات الممرضة (مروة).

كانت مسارات نون وما تحمله من موجات غضب عارمة تتسابق مع يد العدالة والقانون كتفًا بكتف، وربما طالت (سماح) و (مروة) ولكنها تباطأت عن الفتك بـ (سمر) لتعترف بكل التفاصيل البشعة حول مقتل إيهاب ليلة نام ولم يستيقظ.

سارت التحقيقات بشكل منظم نتيجة لوجود الدليل الدامغ الذي قدمته الممرضة (أميرة) ذات الضمير الحي لـ (فدوى) التي بدورها قدمته للنيابة على طبق من ذهب، والمتمثل في التسجيلات الصوتية لـ (مروة).

أما أخطر الاعترافات التي تضمنها تقرير النيابة بخلاف ما روته (سمر) كمتهمة رئيسية اعترافين مهمين:

الاعتراف الأول: سيد سليمان

أخيرًا وجد (سيد سليمان) من يبوح له بالسر الذي فضل كتمانه مع محاولة البحث والتنقيب عن الحقيقة.

لقد كان (سيد) يحمل شبه يقين وشعور داخلي بأن (إيهاب) قتل ولم يمت ميتة طبيعية وهو نائم كما يدعون أو يظنون، وكان مصدر شكه وشعوره هذا ما قاله له: يونس المغسلاتي الذي قام بتغسيل جثمان الطفل في هذا اليوم

- حسابنا إيه يا يونس

- خلاص يا عم سيد... عيب عليك ده إحنا أهل..ده الواحد قلبه هينفطر ع الواد ده الله يكون في عون أهله

- آه والله... ربنا يصبرهم... تسلم وتعيش... قولي حسابك بقي

- معلش يا عم سيد... كنت عايزك في حاجة تانية أهم

- إيه بس خير؟!.... ده مش وقت طلبات يا يونس

- اسمعني بس يا عم سيد... ده القصة عويصة...ومش عارف أجيبهالك منين

- عويصة؟!!.... إيه يا بني فيه إيه؟!...قول علطول ما تقعدش تبسبس

- الواد ده مات مقتول!!

- إيه؟!.... إيه اللى بتقوله ده انت اتخبطت في نافوخك ياض؟!

- زي ما باقولك كده..أنا في الشغلانة دى من صغري اتعلمتها من أبويا وجدي... ولا مؤاخذة من ريحة الجثة باعرف قرارها... الواد مات مخنوق... ولو فيه طب شرعي هيأكد كلامي

- طب شرعي؟!.... طب شرعي ازاى؟!.... وأقول لعلي عبده إيه؟!

- صدقني يا عم سيد.... أنا إحساسي بيه في إيديا ما يخيبش

- باقوللك إيه.... انت بتتكلم في موال كبير وحدوتة إحنا مش قدها..وبتقولي إحساسك.... خلي إحساسك لنفسك يا يونس.... قال إحساس قال؟!.... يالا يا عم قفل شغل..وناديني أما تخلص

الاعتراف الثاني: صباح فرجاني

قضت (صباح فرجاني) أسوأ أيامها بعد وفاة (إيهاب)، ففي نفس اليوم الذي كان عزاؤه منصوبًا في الشارع، كانت هى تبحث عن أمها السيدة (شريفة حسانين) الغائبة عن المنزل لمدة يوم كامل، ولم تكن تعلم أن غيابها سيطول وسيمتد إلى الأبد.

ولم تفهم (صباح) ولم يفهم معها أهل الحارة لماذا تزامن غياب أمها مع وفاة (إيهاب)، هل هى صدفة غريبة.. أم هناك رابط بين الاثنين؟!

قالت (صباح) في تحقيقات النيابة أن انشغال الحارة بوفاة الطفل إيهاب عطل كثيرًا جهودها وجهود المتطوعين معها من جدعان أهل الحارة في البحث عن أمها، ورغم ذلك فقد حزنت على وفاة الطفل الذي كانت تلاعبه وتمزح معه بإلقاء مشابك الغسيل عليه من نافذة غرفتها حيث تطل على غرفته.

واعترفت كذلك بأن جارتها (سمر) والتي تسكن في الشقة المجاورة لها لم تكن تحبها لا هي ولا أمها، وكثيرًا ما كانت تفتعل المشكلات معهن، ورغم ذلك فهي لا تتهمها بشيء، وأنها لا تزال لديها الأمل في عودة أمها أو ظهورها.

أهم ما ذكرته (صباح) أن آخر مرة شاهدت فيها والدتها حين سلمت عليها وقبلتها صباح ذلك اليوم المشئوم الذي اختفت فيه، وهي جالسة تشرب قهوة الصباح وهي تطل من نافذة غرفة ابنتها فهي بحري ومن خلالها ترى معظم سكان الحارة والشارع.

(همه چيز را براى سرگرمى ارزان در نظر بگيريد)

ظل فريق مسارات نون - وهم جلوس على مقهى الندوة الثقافية - يحملقون في هذه العبارة المكتوبة على ورقة والتي تعني بالعربية:

(حلّت اللعنة على الجميع من أجل متعة رخيصة)

وهم مشدوهون ومصدومون في الجريمة الأغرب والأحقر في كل ما مروا به من تجارب ومغامرات.

ولعل اعتراف (سمر) القاتل الوحيد الباقي على قيد الحياة بعد انتحار ضلعي المثلث (سماح) و(مروة) كان الشيء الذي أثلج صدر (إيهاب) وطمأن روحه المغدورة، وأطفأ ناره المتقدة طوال أسبوعين لم يعرف فيهما لماذا استحق أن يقتل وبأى ذنب؟!

الخميس - التاسعة صباح اليوم المشئوم:

- رحمة: هوبا... هوبا...قوم يا حبيب ماما...قوم خش الحمام يالا

- إيهاب (بكسل): مممممممممم سيبيني شوية يا ماما والنبي

- رحمة: لأ يالا قوم وبلاش دلع... عارف هافطرك إيه؟!

- إيهاب: إيه؟!

- رحمة: كورن فليكس

- إيهاب (فرحًا): بجد... يا حبيبتي يا ماما

- رحمة: يعني قمت دلوقتي يا كلب!!..يالا ع الحمام...وتوضأ علشان تصلي الصبح

- عم علي: صباح الخير يا بنتي

- رحمة: صباح النور يا بابا...كنت لسه رايحة أصحيكم

- عم علي: لا سيبي أمك...هي إجازة النهاردة...

- رحمة: أنتوا لسه متخانقين؟!

- عم علي: أنا يا بنتي لا بتخانق ولا باحب المشاكل...هى أمك اللي غاوية نكد... بس والله ما كانتش كده... مش عارف إيه اللي جرالها

- رحمة: وأنا كمان بقيت أحس كده من ساعة ما جيت أعيش معاكم هنا

- عم علي: إيه اللى بتقوليه ده يا رحمة.... لأ طبعًا مش ده قصدي..وهي ماما هتضايق من وجودك ليه

- رحمة: ما أعرفش يا بابا...بس بقت علطول معترضة على كل حاجة باعملها... لدرجة إن أول امبارح اتخانقنا وقالت لي حلال فيكي اللي طارق عمله... تخيل ماما أوقات بتحس إن الحيوان ده معاه حق

- عم علي: معلش...هي برضه أمك وخايفة عليكي...

- رحمة: اشمعنى بتحن يعني لما أنا اللي اشتكيلك منها

- عم علي (ضاحكًا): يعني عايزاني أولعها حريقة بينكم.... بصي يا بنتي...سماح أمك...مش هتعوضيها تاني...لكن أنا جوزها..نصد ونرد مع بعض...مسيرنا في الآخر بنفوت ونعدي

- رحمة: أومال انت زعلان منها في إيه؟!

- عم علي: والله يا بنتي مش عارف... مش حاسس إنها معايا طبيعية زي الأول...

ثم اقترب من ابنته وهمس بصوت خافت:

- حتى لما نبقى مع بعض لوحدينا...ما بقتش أحس إنها طبيعية

- رحمة: إيه يا بابا ده...وأنت بتقولي أنا الكلام ده ليه؟

- مش انت اللي سألتيني؟!.... ولعلمك الموضوع ده غالبًا سبب خناقاتنا الكتير

خرج (إيهاب) من الحمام مسرعًا إلى حضن جده:

- صباح الخير يا جدو

- أهلًا أهلًا أهلًا بالبطل...حبيب جدو... ها هتيجي معايا نشوف ماتش ليفربول ع القهوة النهاردة

- طبعًا.... ده (صلاح) فرصته النهاردة علشان يعدي (هاري كين)

- ماشي.... ولو إني مش فاهم بتتكلم عن إيه...بس ماشي هههههههه

خلال ساعة واحدة كان (إيهاب) جاهزًا في يد أمه يستعدان للنزول بعد أن أتم إفطاره وارتدى ملابسه، وأعطى لجده القبلة الأخيرة وهو جالس يتناول إفطاره مع الشاي على الطاولة التي تتوسط الصالة.

- رحمة (تهمس في أذن أبيها): بابا...ما تنساش والنبي تسيبلي فلوس علشان وعدت هوبا أجيب له المقلمة بتاعة ريال مدريد وعايزة أشتري شوية حاجات بعد الشغل...

- عم علي: من عينيا يا حبيبتي...هاسيبهوملك ع التسريحة في أوضتك... أنا احتمال أتأخر شوية...هاعدي على عمك سيد بعد الشغل.

- رحمة: تيجي بالسلامة يا بابا...بس حاول تيجي قبل ماتش محمد صلاح لهوبا يفضحني هههههههه

وبعد نصف ساعة كان البيت خاليًا إلا من (سماح) التي استمرت في نومها العميق حتى استيقظت في تمام الحادية عشرة ظهرًا، وهي مسرعة كأنها على موعد تخشى أن يفوتها

ومن الحمام الدافئ إلى غرفة نومها وهي تدندن، وتجلس أمام دولاب ملابسها، وقد أخرجت منه صندوقًا خشبيًا ثقيلًا كان تغطيه الملابس والأغطية، بالكاد حملته، ثم وضعته على الأرض وفتحته وهي مطمئنة أنها وحدها بالمنزل لمدة ساعات.

كانت تنظر للساعة كل عشر دقائق فهي تستعد لاستقبال ضيفها القادم بعد قليل..

وما هي إلا دقائق وحل الضيف يطرق الباب نقرًا كي لا يسمع أحد مع رنة واحدة على هاتف (سماح) المحمول لتفهم أنه هو الطارق.

انفتح الباب وانكشف عن ضيف (سماح) المنتظر بشوق ولهفة...

لقد دلفت من الباب فتاة ثلاثينية خمرية ترتدي كعبًا عاليًا وتتألق في جمالها البلدي الفتان، وهي تحمل في يدها حقيبة بلاستيكية سميكة وفور أن أغلقت الباب خلفها

تنفست الصعداء، إنها سمر لا غيرها.. فبادرتها (سماح):

- إيه اللي أخرك يا بت... أنا مش قايلة لك تيجي بدري... على ممكن يعملها ويطب فجأة أنا عارفاه!!

- معلش يا خالتي عبال ما خدت الحاجة م الزفت طارق... إتأخر عليا وفضل يلاوع فيا

- ليه إن شاء الله!!

- طلب فلوس زيادة... وقعد يهددني إنه هيفضحنا.. وإنه مش فارقة معاه يخش السجن..بس هيجيبنا في أرابيزه

- داهية تاخده...البت رحمة بنتي ليها حق تولع فيه بجاز... لولا بس إنه هو اللى بيعرف يسلك مع الكبار اللبط بتوع الصنف ده...

- ما هو ده اللى أنا كنت عايزة أكلمك فيه...هو إحنا لحد إمتى هنفضل حاطينه بينا وبين المعلمين الكبار

- يعني إيه يابت..بتفكري في إيه؟!

- يعني مش علشان إحنا ستات يبقى نخاف ونكش من الشغل مع الناس دي

- أنت مخك اتلحس يا حمارة أنت...أنت مش عارفة مين الناس اللي انت عايزة تشتغلي معاهم دول وتشوفيهم؟!...إذا كان المنيل على عينه طارق ما بيقابلهومش يبقى هيتعاملوا معانا احنا؟!!...

- آه ليه لأ...أهو طارق اللي مش عاجبك ده بيقابل عزت القوصي بجلالة قدره... عضو مجلس الشعب عن دايرة منطقتنا..شفته مرة معاه..ولما شافني حسيت إنه عينه مني وهات ياهزار معايا

- مش باقولك عبيطة!!..بقي يا بت علشان وقف يضحك معاكي شوية يبقى ينفع يدخلوكي وسطيهم... باقولك إيه...إحنا كده حلوين أوى على قد البضاعة اللي بتيجي ونعرف نوزعها ع الكام مدرسة إلى حوالينا على مركز شباب الساحل وكده فل أوي... انت عايزة النعمة تزول من وشنا يابت..دي عالم بحورها غويطة وإحنا مش قدهم...أهو عزت القوصي ده كمان فيه الأكبر منه..والأكبر منه... ده هرم مالوش آخر!!

- طب يالا علشان ما نضيعش وقت..ونلحق نكيس البضاعة... وانزل بيها أديها للواد حامد...

- والله أنا ما قلقانة غير من حامد بتاعك ده!!

- ليه بقي يا خالتي؟!

- مش عارفة....حاسة إنه هيلبسنا في الحيط..وأنت أول واحدة هيبيعك

- لا اطمني...ده بيموت في التراب اللي بامشي عليه

- طب يا فالحة قدامي ع الأودة

ورغم أن (سماح) تعرف جيدا موعد قدوم كل من الثلاثة زوجها وابنتها وحفيدها، ولكنها في كل خميس تصب جام غضبها على أول العائدين دائما.

وكعادة كل خميس، حيث اليوم المتفق عليه أسبوعيًا لتستيف البضاعة ووضعها في أكياس ثم تسليمها لحامد الذي يقوم بتوزيعها على طلبة المدارس والشباب في مركز الساحل الرياضي، تهرع (سماح) لطرقات (إيهاب) على جرس الباب، ثم تقوم بإحكام إغلاق باب غرفتها متوجهة لفتح الباب لحفيدها.

- أنت يا زفت... أنا مش قلت ١٠٠ مرة نخبط مرة واحدة بس...إيه انت حمار ما بتفهمش!!

- ما أنا خبطت كتير أوى يا تيتة...ما حدش بيفتح!!

- طب خش يالا على أودتك شوف هتعمل إيه... هتنام ولا هتذاكر...عندك هوم وورك تحله

- آه عندى.... بس أنا جعان عايز آكل

- ليه ما أكلتش ساندوتشاتك في المدرسة...

- لأ أكلتها في البريك بس جعان أوي!!

- طيب هاحطلك تطفح..بس خش الحمام اتشطف وبعدين غير هدومك...وأنا هانزل أجيب عيش علشان مفيش

- طيب يا تيتة...ربنا يخليكي

- ويخليك يا حبيبي... بس يالا بسرعة

كان من المفترض أن تخرج (سمر) خلال وجود (إيهاب) في الحمام، هكذا كان الشيطان سيكتفي بجريمة واحدة، ولكنها رائحة المال في التجارة الرخيصة التي يرمي الشيطان بحبائلها اللذيذة فيسحب بها جنوده على أنوفهم.

دخلت (سماح) عليها سريعا دون أن تحكم إغلاق الباب لتجدها قد استمعت لحوارها مع الطفل من خلف الباب:

- يخرب بيتك..قومي يا بت.... الواد جه.. لمي البضاعة بسرعة

- ما أنا عارفة...ما تخافيش... ده واد عبيط مش داري بالدنيا

- نعم؟!!...أنت اللى عبيطة...أنت ناسية إننا بندي زمايله في المدرسة... بس الواد أمه عرفت تربيه

- طب سيبك بقي م الواد وأمه... وخلينا نخلص بسرعة آخر كام كيس...قربنا علشان الواد حامد عمال يرن لي وبيستعجلني

ما أبشع الرذيلة التي تندفع كالبركان الثائر في أجساد عطشى لتفترس كل من حال دون اتمامها، هذا ما حدث حين خرج (إيهاب) من الحمام وبدّل ملابسه وأجرى المكالمة الأخيرة مع أمه، وقرر ألا ينتظر خبز وطعام جدته ليسد جوعه وإنما سيدخل لينام.

وقبل دخوله غرفته سمع همهمات..وحوار لم يرق له... فاتجه لمصدرها خلف باب، وظل يسمع ويسمع..حتى فغر فاه من هول ما سمع

وماهي إلا دقائق سمع فيها ما يهدم فكرة القيم في هذه الدنيا، بل كل ثوابتها ونواميسها التى كانت تخبره أمه أنها صلب الحياة.

بادر (إيهاب) بفتح الباب بفطرة الطفولة..ولم يعلم أنه يفتح بابه إلى العالم الآخر!!

كانت صدمته هي موتته الأولى..فلو عاش (إيهاب) ولم يقتل لعاش ميتًا معقدًا مريضًا معذبًا من هول وبشاعة ما رأى

شهقت المجرمتان وارتعدت فرائصهما وتسمرا في مكانهما في حين انطلق (إيهاب) على غرفته منخرطًا في البكاء الهستيري..

وبعد نصف ساعة من الصدمة، والإحساس بالسقوط في الهاوية، كان (إيهاب) قد نام من جهد البكاء وسطوة الغم على قلبه، فشعر بقشعريرة غريبة وانسحاب جسده نحو الهروب للنوم، فنامت عيناه الغارقة في الدموع.

في الغرفة الأخرى كانت (سماح) و(سمر) تدبران مخرجًا للمصيبة والكارثة المحدقة، ليس في هذا البيت فحسب بل في الحارة والشارع كله...

ليس هناك حل سواه... بكل السبل لم يعد هناك منفذًا ليعيش إيهاب الذي رأى وسمع وفهم!!

فزعت (سماح) للحل وتيبست أطرافها لسماعه، ولكن الشيطان كان يعتلي منبر (سمر) عقلها ولسانها..فراح يقنعها بأنه الحل الوحيد الذي يحميهم من فضيحة وعار سيلاحقهم مدى الحياة، فضلًا عن قضاء ما تبقى من عمرهم في السجن إن لم يحكم عليهن بالإعدام...

إذن يا قاتل..يا مقتول!!

اقترحا..تشاورا... فقررا.. واتجها لغرفة نومه بملابسهن المتسخة بآثار الهيروين يتسحبن على أطراف أقدامهن، ودخلن الغرفة ليسهل عليهن المهمة فوجدنه نائمًا

ولكنها اللحظة الفارقة، التي استيقظ فيها (إيهاب) ليجد (سمر) تركب بجسدها فوق الوسادة الضاغطة على وجهه بقوة، وجدته تركب بوزنها الثقيل فوق ساقيه من منتصف جسده حتى تحكم سيطرتها على محاولاته للنجاة وتحرمه حقه في مجرد الفرفرة وقت طلوع الروح.

أنتهى كل شيء في لحظة... انتهت الأحلام والطموحات والآمال في مستقبل ومشروع شاب يافع قد يهز أركان الدنيا إنجازًا وقوة!!

..... لا ولكن الأمر لم ينته... إن لم يكن بدأ...

من نافذة غرفة (إيهاب) كان مسرح الجريمة ممثلًا بالتفصيل أمام السيدة العجوز (شريفة حسانين) الشهيرة بأم صباح، والتي لم تسعفها قدماها مغادرة المكان من فرط الرهبة وبشاعة السيناريو... حتى دفعت ثمن تباطؤها وإصرارها على النظر.. حين لمحتها رأس الشيطان (سمر) وهي ترفع ركبتيها عن الوسادة الجاثمة فوق رأس البراءة.

فكان الهاجس..ثم الوسواس... ثم القرار... ومن ثم التنفيذ..

غادر (عم علي) موقف السوبر جيت بعد أن حجز لأسرته مصيفًا سريعًا لمدة يومين في الخميس والجمعة، على سبيل المفاجأة لهم دون أن يخبرهم، فادعى بأنه ذاهب لعمله وهو يجهز لرحلة سعيدة يصطحب فيها حفيده وابنته وزوجته، حين فكر أن الرحلة قد تعيد له طبيعة زوجته وودها القديم.

وفي الوقت الذي سقطت فيه (رحمة) صريعة بعد أن وصلت ووجدت ابنها بارد الجسد على فراشه مغطى من رأسه حتى أخمص قدميه، كانت (سمر) في بيتها تتحفظ على العجوز بعد أن نصبت لها الشباك لاصطيادها.

رنّت (سمر) على جرس الباب لتفتح السيدة (شريفة)، وتقع في الشرك وتسقط مغمى عليها بين يدي الشيطانة من تأثير المنديل المخدر.

سحبت (سمر) فريستها لداخل شقتها، وألقت بها مكممة الفم في حمام صغير مهجور كانت أمها تستخدمه كمخزن حين خرب ولم يتمكنوا من إصلاحه، وبعد فاصل من الضرب وعلقة ساخنة مميتة بالعصا والركل بالأقدام وبقبابها ذو الكعب العالي، أغلقت عليها الباب مؤقتًا ومعها في الحمام قطة سوداء دخلت بالصدفة من المنور لتجتمع مع العجوز في مربع عطن عفن مهجور مليء بالحشرات والفئران.

لم تتمكن (سمر) من القضاء عليها رغم إصرارها على ذلك، حيث سمعت صوت الصراخ والعويل من العمارة المجاورة حزنًا على الطفل الفقيد، فقررت أن ترتدى الأسود وتكمل بقية المسرحية وتذهب لتقديم واجب العزاء والوقوف بجانب خالتها وأختها المكلومين في فلذة كبدهم الذي نام ولم يقم، ثم تعاود التفرغ للعجوز وتجهز عليها تمامًا.

- راجعالك..راجعالك يا وليه يا كركوبة علشان أحرمك تاني تدخلي وتدبي بوزك في اللي مالكيش فيه!!

عادت (سمر) مع خطيبها (حامد) من المستشفى بعد نقل (رحمة) فدخلت بيتها، وهي تطمئن جارتها (صباح) وتحثها على مزيد من البحث عن أمها ووعدتها أن تتفرغ للبحث معها بعد الأنتهاء من عزاء (إيهاب)!!

وبعد أن أغلقت عليها باب شقتها اتجهت فورًا للحمام المظلم والذي أغلقته بقفل مثبت بمسامير، وفور أن فتحت اندفعت القطة المسعورة هاجمة عليها ممسكة

بمعصمها تفترسه، لم لا وقد توحشت من طعم الدم الذي أسالته من جسد العجوز بمخالبها وأنيابها في الظلام.

دفعت السيدة شريفة حياتها ثمنًا لما رأت... فهل علينا ألا نطلق عيوننا في هذه الدنيا وننتقي ما نرى وما نسمع؟!!

الآن حان وقت التخلص من الجثة كي لا تفوح رائحتها فيفتضح الأمر، فمن ذلك الشخص الذي تلجأ له ليساعدها في هذا الأمر وفي ذات الوقت يحفظ سرها دون أن يفشيه؟!

لابد أن يكون مكبلًا بسر هو الآخر... شخص تحت طائلة التهديد... إذن فهى لا غيرها....

إنها (مروة الطوبجي) (البت الشربات) كما كان يحلو لـ (سماح) تسميتها،، فهي حبيبة (سمر) أيضًا وحافظة سرها، لأنها ببساطة الضلع الأخير في رباعي الاتجار بالمخدرات، وصاحبة السهرات اللذيذة في استراحة الممرضات حين كانت (سماح) تتعمد وضعها في شيفت السهرة معها دون غيرها، في مقابل حرية في المواعيد وأعذار مقبولة في الإجازات.

كانت (مروة) فتاة طبيعية، تحب رجلًا تقدم لخطبتها ولكنه استغل جمالها وسذاجتها، وغرر بها فحملت منه سفاحًا، ولم تجد في هذا الوقت إلا رئيستها لتشكو لها خوفًا من أهلها، فوجدت فيها (الصدر) الحنون!!

استغلت (سماح) ضعفها وساعدتها بعلاقاتها بالأطباء معدومي الضمير ودعمتها بالمال في عملية الإجهاض و(الترقيع) وعادت بها إلى المستشفى، وفي هذا اليوم قررت (سماح) أن تضيف لعصابة المخدرات عضوًا جديدًا لتتسع دائرة الشغل ومن ثم المال...

وماهي إلا أيام ثم فتح الشيطان أبوابه الملكية لمرور ضحية أخرى لعالم (سماح) (سمر) النهم الذي لا يشبع، ثم صارت تلتقي بعد ذلك بـ (سمر) وحدهما في بيتها في مزيد من العمليات الخفية.

كانت مساعدة (مروة) لصديقتها (سمر) تكمن في المشورة الخطيرة والفعّالة باستخدام مادة (حمض الكبريتيك المركز) لتحليل وإذابة جسد (أم صباح)، قبل أن يتعفن وتفوح رائحته، وبالفعل دعمتها بكميات من هذه المادة وألقته (سمر) على جسد جارتها العجوز، ونظفت الحمام من كل أثر لهذه الجريمة.

وبعد أن ارتدت ملابسها السوداء لتذهب لبيت (عم علي) في اليوم الثاني للعزاء، مرّت على بيت (صباح) لتسألها ما الجديد في غياب أمها؟! وعما إذا كانت تريد أى مساعدة..فالجيران لبعضيها!!

انتهى الأمر... واختفى من المشهد طفل وعجوز بين عشية وضحاها..وبدأت المسارات السوداء تندفع حممها وتفور وتبحث عن سبل الانتقام.... اللذيذ أيضًا

كانت بقايا البراءة والنقاء الموجودة في (مروة) دافعًا معذبًا مؤرقًا لها في كل لياليها، ولم يرحمها صوت الأنين مع دقات ساعة منتصف الليل كل يوم، فخارت قواها مع أول لمسة حنونة ومبادرة تعاطف من زميلتها (أميرة)، لتعبر لها بكلمات باكية كيف عاشت في كنف الرذيلة عام كامل مع (سماح) و(سمر)، وكيف قادتها شراكتها هذه إلى مؤازرة الأخيرة في جريمتها البشعة.

قبعت (سمر) في السجن بعد الحكم عليها، ومع أول سحبة لمزلاج السجن حين أغلق عليها الباب، بدأ مشوارها مع العذاب الذي لا ينتهي، وسلسلة من المعانا ة اليومية صباح مساء فيما تراه وتسمعه.

حتى نجحت في سرقة مطواة قرن غزال من إحدى السجينات، لترحم نفسها في ليلة من ليالي الحبس الانفرادي من عذاب لا يقوى عليه بشر..فأنى لها أن تنال تلك الرحمة!!

على مقهى الندوة الثقافية، كان الأربعة يتسامرون ويضحكون من تلك القضية التي لم يكن لهم فيها دور سوى الشهادة والعلم بما حدث، وكأن تلك المسارات تعلن عن نفسها وترسم صورة لها، حتى تكون ظاهرة يحكي عنها الناس ويحللها العلم يومًا ما.

وخلال هذه الجلسة الودودة قرر (د. مريد) أن يعطيهم جرعة من الرعب أدمنوها وصاروا في احتياج لها كل فترة، وفاجأهم بما لم يتوقعوه

- د. مريد: عارفين جبتلكم معايا إيه؟!

- الجميع: خير؟!

- د. مريد: هاسمعكم حاجة تنشف ريقكم وما تنيمكمش الليل

- فدوى: على أساس إننا عايشين في مرح متواصل..مش كده؟!

- د. مريد: بصوا...عارف إنها هتتعبكم.... بس لازم تسمعوها...علشان تفضلوا فاكرين كويس قصة الطفل إيهاب ده

- حمزة: يالا...أنا متحمس ومشتاق أسمع

- نزار: انت بتزيط في أى حاجة وخلاص.... اهدى بس يا دكتور..ما إحنا قاعدين يا جدعان ولسه متعشيين وبنشرب سحلب وينسون.... ليه اللبش الاختياري ده؟!... هو حرام ننام ليلة كويسين؟!

- حمزة: يا عم قوم روح..ده انت خرع أوى!!

- فدوى: لا...غالبا هاسيبكم وامشي... يالا تصبحوا على خير

غادرت (فدوى) المكان، واصطحب (د. مريد) زميليه في سيارته وأغلق بالأبواب والنوافذ، واستعد الجميع لسماع المفاجأة

- د. مريد: عارفين هاسمعكم إيه؟!

- الاثنان: إيه؟!

- د. مريد: ده الصوت اللى كل أطراف الحدوتة كانوا بيسمعوه كل يوم الساعة ١٢ بالليل، جبته من تفريغ كاميرات الغرف عندى في المستشفى، وقت انتحار (سماح) في الوقت ده

بلع الاثنان ريقهم، استعدوا للاستماع

- نزار: شغل يا دكتور

- حمزة: اتكل على الله

بدأ الصوت بأنفاس تتعالى تدريجيًا حتى التحم بأصوات أنين الطفل ومواء القطة والعبارات التي كأنما تقرأ بالمقلوب

تسمّر (حمزة) و(نزار) في مكانهما ولم ينطقا بكلمة

- د. مريد: أنتوا فاكرين نفسكم كده سمعتوا حاجة تخوف هههههههه

- نزار: نعم يا أخويا؟!... أأأ قصدي نعم يا دكتور؟!!

- د. مريد: كده أنتوا سمعتوا صوت منتصف الليل...هاسمعكم دلوقتي نفس الصوت ده بس بعد ما وديته لخبير في المونتاج الصوتي مشهور اسمه حسام حجاج اللي قدر يعمل عزل لصوت الكلام عن بقية الأصوات من خلال برنامج من برامج الـ Sound Sipatation وقدر يفصله فعلا عن كل الأصوات، وبعد كده نجح في إنه يقلبه فكل الكلام بان واتفهم وبكده يبقى حصلنا على أهم مستند هيخدم ظاهرة مسارات نون

- حمزة (بخوف): إيه يا دكتور...شوقتنا!!

- د. مريد: طب اسمعوا بقي

هذه المرة بدأ الصوت دون متداخلات أخرى، ولكن بأنفاس تتعالى تدريجيًا وكأن صاحبها يتعذب، ثم بدأ الكلام بصوت طفل قادم من أعماق الألم وطيات الجحيم، متحشرجًا متقطعًا:

(أأأأأنا..... أنننااا.... إ ي ه اب... ابن ماما... أأأنا مش هاسيييبك... هاخنقك... هتموتي...ه ع ذبك.... ززززى.... مممما عذبتيييني.... سسسمممااااح..... سسسسمرر.... أأأأنا...جااااى.... جااااى لوحدى...آآآخدكم.... هاخدكم...ككك للكم)

وبعد سماع صوت الأنين... كيف يستمتع بالحياة من فقد براءة الطمأنينة وسلامة الفطرة؟!

ولكنها الأيام، تروح وتغدو سلسلة من المخاوف المتجددة يفصل بينها صباح مشرق وقليل من الضحكات المصطنعة..

هكذا اعتاد أن يحيا فريق مسارات نون... حين جعل نفسه في مرمى مزيد من رسائل تتوالى من العالم الآخر...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

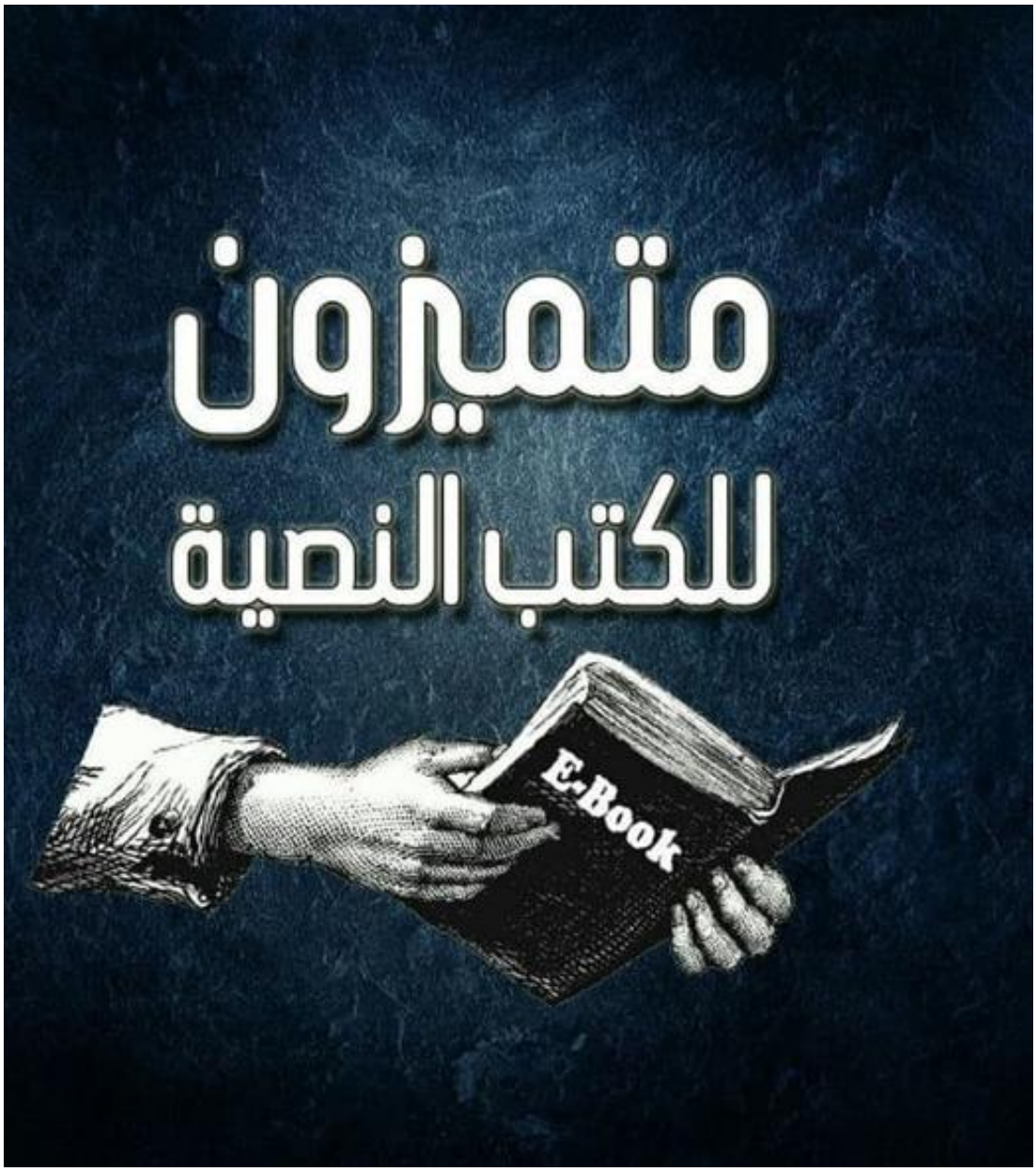
متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

مسارات الرعب..

(١)

(2)

(3)

(4)

(5)